العدد ٢٩ ، ١٩٧١

بحاث

الشؤون السوفيتية

يصدرها
معهد دراسة الشؤون السوفيتية
فى ميونيخ ، المانيا الغربية

محتويات العدد

الاحتفال بالذكرى الخمسين لجمهوريتى آذربيجان وقازاقستان السوفييتيتين

الجيل الثالث من القادة السوفييت

التسابق الصينى السوفييتى فى آسيا وأفريقيا

التجارة الداخلية السوفييتية تعكس عيوباً أساسية فى النظام الاقتصادى

(المجلة) نشرة دورية يصدرها معهد دراسة الشئون السوفييتية فى مدينة ميونيخ بألمانيا الغربية مرة كل ثلاثة أشهر، فإذا رغبت أيها القارىء الكريم فارسل بمقالاتك وبحوثك المختلفة إلى رئيس تحرير المجلة أما الاعلانات والاشتراكات وكذلك الواردات الأخرى فترسل الى مدير المعهد على العنوان المذكور أدناه.

كما يسر رئيس التحرير ان يقوم بنشر المقالات التى ترسل إليه إذا اعتبرها صالحة للنشر ويدفع أجر المقالات التى تنشر حسب تعريفة المعهد فى هذا الشأن، أما المقالات التى لا تنشر فتعاد الى كاتبها عند طلبه، والمرجو من كاتبى المقالات ان يحتفظوا بنسخة لديهم حيث ان المعهد غير مسئول عن ضياع الأصل.

يمكن اعادة أو اقتباس المواد فى "المجلة" جزئياً بشرط الاشارة الى مصدرها. ويرجو رئيس التحرير ان يتسلم دائماً نسخة من المنشورات التى احتوت على معلومات أو مواد نشرت فى "المجلة" من قبل، كما يرجو أيضاً الحصول على اذنه قبل اعادة نشر مقالات بأكملها.

الآراء المنشورة فى "المجلة" أو فى مطبوعات أخرى للمعهد تعبر عن آراء كتابها فقط ولا يجوز اعتبارها وجهة نظر المعهد: Institute for the Study of the USSR, 8 Munich 22 — Mannhardtstrasse 6 — Germany.

Bulletin ..... DM 44.— or $12
(in English, 12 issues per year)

Studies on the Soviet Union ..... DM 44.— or $12
(in English, 4 issues per year)

Analysis of Current Developments in the Soviet Union
(mimeographed)
(in English, 52 issues per year) ... DM 40.— or $10
(in Russian, 52 issues per year) ... DM 40.— or $10
(in Spanish, 26 issues per year) ... DM 20.— or $5

Dergi ..... DM 4.— or $1
(in Turkish, 4 issues per year)

Estudios sobre la Unión Soviética .. DM 4.— or $1
(in Spanish, 4 issues per year)

Majallah ..... DM 4.— or $1
(in Arabic, 4 issues per year)

Problèmes Soviétiques ..... DM 8.— or $2
(in French, 2 issues per year)

Sowjetstudien ..... DM 8.— or $2
(in German 2 issues per year)

For Air Mail Delivery, please double the rate. — All rates subject to change without notice.

Herausgeber und Verlag: Institut zur Erforschung der UdSSR, e.V., München 22, Mannhardtstrasse 6, Telefon 22 06 81-84. — Printed in Germany by Wiesbadener Graphische Betriebe GmbH, Wiesbaden.

مجلة

الشؤون السوفيتية

العدد ٢٩ ، ١٩٧١

رئيس التحرير

سليمان محمد تكينر

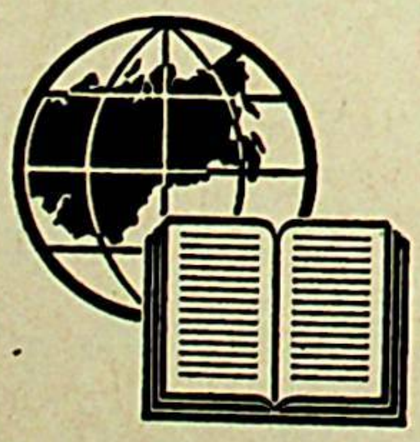

معهد

دراسة شؤون الاتحاد السوفيتى — ميونيخ

محتويات العـدد

الإحتفال بالذكرى الخمسين لجمهوريتى آذربيجان وقازاقستان السوفييتيتين ٣
بقلم: سليمان محمد تكينر

الجيل الثالث من القادة السوفييت..... ١٩
بقلم: عبد الرحمن افتور خانوف

التسابق الصينى السوفييتى فى آسيا وأفريقيا..... ٣٦
بقلم: ستيفان ستولته

التجارة الداخلية السوفييتية تعكس عيوباً أساسية فى النظام الإقتصادى..... ٤٤
بقلم: اندريه ف. بابيتش

نظرة على أعداد مجلة "ايسكوستفو" الصادرة فى عام ١٩٧٠..... ٤٩
بقلم: بيرم رضا

الاحتفال بالذكرى الخمسين لجمهوريتى آذربيجان وقازاقستان السوفييتيتين

بقلم: سليمان محمد تكينر

أقيمت فى باكو فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠ إحتفالات بمناسبة مرور خمسين سنة على إنشاء جمهورية آذربيجان الاشتراكية السوفييتية. وأقيمت إحتفالات مماثلة فى آلما آتا عاصمة جمهورية قازاقستان الاشتراكية السوفييتية فى ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٧٠. ولقد حضر ليونيد بريجينيف الاحتفالين وتحدث فيهما عما حققته سياسة الحزب الشيوعى السوفييتى فى المجالات الداخلية والخارجية من إنجازات، ثم تحدث بوجه عام عن كثير من القضايا ذات الصبغة المحلية(١). ولقد ترددت أصداء هذه الاحتفالات خارج الاتحاد السوفييتى وأثارت إهتمام عدد غير قليل من الناس. وكان من أهم ما لفت أنظار المراقبين التوقيت الذى قامت فيه هذه الاحتفالات والصلة فى اختيار تلك التواريخ بالذات لاقامتها. وهذا هو ما سنتناوله بالبحث فيما يلى.

لقد تأسست جمهورية آذربيجان الديموقراطية القومية المستقلة فى ٢٨ مايو (أيار) ١٩١٨ فى أعقاب قيام ثورة فبراير (شباط) ١٩١٧ الديموقراطية فى روسيا، وهى الثورة التى أسقطت النظام القيصرى. ولكن هذه الجمهورية لم تعش طويلا، إذ قامت قوات الجيش الأحمر البلشفى بإحتلالها فى ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٢٠ كما هو معروف. وأعلن البلاشفة قيام جمهورية آذربيجان الاشتراكية السوفييتية فى ٢٨ أبريل (نيسان) ١٩٢٠. أما إختيار شهر أكتوبر (تشرين الأول) للاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام الجمهورية فأنه يتعلق بظروف وبأسباب لا تخفى على أحد... فأن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الآذربيجانى كانت قد أعلنت من قبل تأجيل تلك الاحتفالات الى خريف ١٩٧٠(٢)،

---

(١) "باكنسكى رابوتشى"، ١٩٧٠/١٠/٣، باكو، والبرافدا فى ١٩٧٠/١٠/٣، و "كازاغستانانسكايا برافدا"، فى ١٩٧٠/٨/٢٩، آلما آتا.

(٢) "باكنسكى رابوتشى"، فى ١٩٧٠/٤/٢٨.

ولم يرد فى قرار المجلس السوفييتى الأعلى ومجلس الوزراء السوفييتى الصادر فى ٢٨ أبريل (نيسان) ١٩٧٠ أية إشارة الى أسباب ذلك التأجيل. وفى رأينا أن السبب فى ذلك يرجع الى إنشغال كبار الزعماء السوفييت بالاحتفالات الهائلة التى قامت فى جميع أنحاء الاتحاد السوفييتى والبلاد الشيوعية بمناسبة العيد المئوى لمولد لينين فى نفس الموعد الذى كان ينبغى ان تقام فيه إحتفالات آذربيجان. ومع ذلك فليس من المستبعد أن يكون لهذا التأجيل علاقة بعمليات "التطهير" التى جرت فى المناصب الكبيرة فى آذربيجان فى خلال السنتين الأخيرتين. كما لا يستبعد أن يكون له علاقة كذلك بعوامل أخرى مثل عدم كفاية تطبيق الخطة الاقتصادية فى البلاد.

وأما عن الاحتفالات فى جمهورية قازاقستان، فما يجب توضيحه هنا هو أن المجلس التأسيسى القازاقى (القيرغيزى) الثالث كان قد أعلن فى ٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧ قيام جمهورية اوش اورطة. وفى مارس (آذار) ١٩٢٠ إحتلت الجيوش البلشفية هذه البلاد، ثم أعلن قيام جمهورية قازاقستان الاشتراكية السوفييتية بعد ذلك بتسعة شهور ونصف شهر تقريباً(٣)، وكان ذلك بقرار أصدرته حكومة لينين فى ٢٦ أغسطس (آب) ١٩٢٠. وهو القرار الذى نص فيه على إعتبار هذه الجمهورية جزءاً من جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفييتية واخضاع جميع شئونها الادارية والاقتصادية لسيطرة القوميسيريات الروسية(٤).

ان هذه الاحتفالات التى أقيمت فى باكو وفى آلما آتا بمناسبة مرور خمسين سنة على قيام الحكم السوفييتى بها، تشتمل على مناسبة أخرى كذلك وهى تأسيس الأحزاب الشيوعية فى تلك البلاد. ولذلك وجب علينا ان نتعرض لهذه المسألة أيضاً بشىء من الحديث.

تصف المراجع السوفييتية عملية تطبيق النظام السوفييتى فى كل من آذربيجان وقازاقستان بأنها "ثورة العمال والفلاحين" و"ثورة البروليتاريا" التى تحققت فى ظل زعامة الأحزاب الشيوعية. ومن هنا قد يتبادر الى الأذهان ان الأحزاب الشيوعية كانت موجودة فى هذه البلاد عند قيام الثورة الشيوعية. وبذلك ينسب الشيوعيون لهذه الأحزاب تاريخاً لا أساس له من الواقع. فهذه الأحزاب لم تكن موجودة تقريباً فى هذه البلاد حتى غزو قوات الجيش الأحمر لأراضيها واستيلائه عليها.

---

(٣) "اوبرازوفانيه س.س.س.ر. ازرنيك دوكيمنتوف ١٩١٧–١٩١٨"، موسكو/لينينجراد عام ١٩٤٩، ص ١٧٥–١٧٧.

(٤) نفس المرجع السابق.

أن مثل هذه المزاعم الباطلة تتعارض حتى مع وجهات نظر الساسة والمؤرخين البارزين الذين عاشوا تلك الأحداث وعاصروا المرحلة الأولى من تطبيق النظام السوفييتى فى هذه البلاد. فمثلا يذكر المؤرخ السوفييتى المعروف جورج صفاروف، فى كتابه " الثورة الاستعمارية (التجربة التركستانية) " المطبوع فى موسكو عام ١٩٢١، عن أحداث تطبيق النظام السوفييتى فى التركستان وقازاقستان: " ان العمال الروس الذين استوطنوا قبله فى التركستان كانوا لا يتمتعون بأى قسط من المعرفة بالتقاليد الثورية، ولم يكن لهم زعامة أو برنامج معين "(٥)، و" ان الثورة فى التركستان لم تبدأ إلا ببرقية ". ثم يسترسل صفاروف فى كلامه فيقول: " ان أحداث التركستان جرت بعيداً عن نطاق زعامة الحزب الشيوعى البلشفى إذ لم يكن فيها حزب مماثل. فالنظام السوفييتى فيها لم يخلقه حزب شيوعى، بل على العكس لقد خلق الحكم السوفييتى فيها حزباً بلشفياً(٦).

وفى رأى صفاروف ان " لا يجب ان يفرض انتصار الثورات القومية الاستعمارية سلطان الطبقة العمالية على البلاد "(٧). ويرى المؤرخ العالمى الشهير بارتولد انه " لا يمكن الأخذ بنظرية العالمية الماركسية كمعيار فى تعليل وتحليل أحداث التاريخ(٨).

وهناك مجموعة من الكتاب السوفييت من الذين تحرم أعمالهم اليوم فى الاتحاد السوفييتى، يرون ما يخالف تماماً ما يذهب إليه الأدب السياسى الشيوعى السوفييتى. ومنهم أ. رزستسوف الذى يقول فى كتابه " ثورة أكتوبر فى التركستان " (طبع فى طشقند عام ١٩٢٧): " ان أهل البلاد ما كان أمامهم سوى طريقين لا ثالث لهما، فأما أن يسيروا خلف دعاة التجديد (أى المثقفين التقدميين) أو يتبعوا طريق العلماء "(٩).

وهناك كاتب آخر أسمه الكسينكوف الذى قال فى مقالة نشرت بمجلة " ثورة البروليتاريا " فى العدد ٨ سنة ١٩٢٨، تحت عنوان " السياسة القومية للحكومة المؤقتة عام ١٩١٧ فى التركستان ":

كانت البورجوازية القومية ومفكروها من المجددين يلعبون فى أثناء الحركة القومية دور الزعامة، فى وقت ان كان البلاشفة يقومون بأعداد العدة للقيام بالثورة الاشتراكية(١٠)

---

(٥) "انتصار الحكم السوفييتى فى آسيا الوسطى وقازاغستان"، طشقند، ص ١٦.
(٦) نفس المرجع السابق.
(٧) نفس المرجع السابق.
(٨) المرجع السابق، ص ١٣.
(٩) "تاريخ التشكيلات الشيوعية فى آسيا الوسطى"، طشقند عام ١٩٦٧، ص ١٦.
(١٠) المرجع السابق، ص ١٧.

حتى الشيوعيين الذين كانوا فى طشقند التى كثر فيها العمال الروس لم يكن لديهم من القوة ما يجعل لهم تأثير فى مجرى الأحداث. ويتعرض لهذا الموضوع عدد من المؤلفين فى كتاب اسمه " تاريخ التنظيمات الشيوعية فى آسيا الوسطى" الذى ورد به ما يلى:

كانت أقوى التنظيمات البلشفية وأكبرها تأثيراً فى البلاد (أى التركستان) فى طشقند. إذ كان لهذه الجماعة ١١٦ عضواً فى شهر يناير (كانون الثانى) ١٩١٨. وفى فبراير (شباط) من نفس السنة بلغوا ١٣١ عضواً، وفى مارس (آذار) ١٦٠ عضواً، وفى أبريل (نيسان) ٢٢٨ عضواً، وفى مايو (أيار) ٢٤١ عضواً(١١).

هذا ولم تكن حال التنظيمات الشيوعية فى باكو التى يصفها الأدب الشيوعى السياسى بأنها " مركز البروليتاريا " أحسن مما كانت عليه نظيرتها فى قازاقستان. وفى الواقع لم تتمكن حكومة لينين من فرض السيطرة السوفييتية على آذربيجان الا عن طريق ما قامت به عن طريق ستيبان شاوميان " قوميسيرها غير العادى فى باكو" بعد المذبحة العامة التى جرت فى باكو فى مارس (آذار) ١٩١٨، وتمكنت من وقف تيار التحرير القومى للشعوب القوقازية ــ ومنها آذربيجان ــ التى كانت ترمى الى إقامة دولة قوقازية مستقلة عن روسيا. ولقد راح ضحية تلك المذبحة التى كان قد رتبها لهم شاوميان الأرمنى مستعيناً بالجنود الروس العائدين من ميادين القتال وبعض المقيمين فى باكو من غير المسلمين ١٨ ألف شخص من الآذربيجانيين المسلمين. ووصفت المراجع السوفييتية المذبحة بأنها " نضال الكادحين الآذربيجانيين من أجل الثورة الاشتراكية ". وان كان الشعب الآذربيجانى لا يزال يصفها " بمذبحة مارس ". ولم ينشأ فى آذربيجان حزب شيوعى إلا بعد ان إستقرت الأمور فى يد الحكومة التى رأسها شاوميان. ولذلك يستحيل إرجاع تاريخ إنشاء ذلك الحزب الى ما قبل عام ١٩٢٠، وهذه حقيقة لم يستطع حتى الزعماء الشيوعين أنفسهم إنكارها. فقد جاء فى حديث حيدر عليف رئيس الحزب الشيوعى الآذربيجانى أثناء تلك الاحتفالات التى أشرنا إليها فى باكو ما يلى:

إنعقد المؤتمر الأول للتنظيمات الشيوعية بصفة سرية فى باكو بآذربيجان يومى ١١ و ١٢ فبراير (شباط) ١٩٢٠ وتألف الحزب (البلشفى) الآذربيجانى كجزء لا ينفصل عن الحزب الشيوعى اللينينى(١٢).

---

(١١) المرجع السابق، ص ٢٣٠.
(١٢) "باكنسكى رابوتشى" فى ٣/١٠/١٩٧٠.

ثم واصل عليف حديثه عن الحدث التاريخى الذى طرأ على حياة الشعب الآذربيجانى ليلة ٢٨/٢٧ أبريل (نيسان)(١٣)، وعن " إنتصار الحكم السوفييتى " و" تأسيس جمهورية آذربيجان السوفييتية الاشتراكية ".

وهذا الاجتماع الذى اشترك فيه عدة أشخاص لهم ميول سياسة معينة معروفة، وهو الذى وصفه عليف بأنه " المؤتمر الأول "، فى حاجة للايضاح وكشف الحقائق المتعلقة به. فاننا إذا تبينا ان نظام الحكم الذى أقامته آنذاك جمهورية آذربيجان القومية الديموقراطية قد فتح الباب على مصراعيه لجميع الحريات ومنها الحريات السياسية، وأنه لم تكن هناك أى حاجة الى قيام أى نشاط سرى لأى جماعة أو حزب سياسى صغر أو كبر، لوجدنا ان قول عليف بشأن الصفة السرية الذى عقد بها " المؤتمر الأول " للتنظيمات الشيوعية، زعم يحمل فى طياته مبالغة مقصودة. حقاً ان تسرب الشيوعيين الى البرلمان واقعة حقيقية، وكذلك كان ترشيح الاشتراكيين لعلى حيدر كارايف كمرشح وحيد فى انتخابات البرلمان يعود الى عدم قدرة الشيوعيين على الظهور كقوة سياسية أمام الناخبين. وكان على حيدر كارايف هو نفس الشخص الذى حمل الى البرلمان الآذربيجانى الانذار الشهير الذى وجهته إليه لجنة الثورة العسكرية الآذربيجانية تطالب فيه بتسليمها شئون الحكم فى البلاد عندما دخلت وحدات الجيش الأحمر الى باكو.

ولقد نشط بعض الكتاب السوفييت لاختلاق بعض الصور الخيالية حول واقعة غزو الجيش الأحمر لآذربيجان، فادعى م. س. اسكندروف المدير السابق لمعهد تاريخ الحزب فى باكو، وهو معهد تابع للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى، فى كتابه المسمى " من تاريخ نضال الحزب الشيوعى الآذربيجانى لتحقيق النصر للنظام السوفييتى "، فقال أنه كان من بين القرارات التى اتخذت خلال دراسة " الوضع الجارى " فى المؤتمر الخامس للشيوعيين الآذربيجانيين برنامج " الاستعداد للثورة المسلحة ضد حكومة حزب المساواة فى آذربيجان " ووضع تاكتيك يقضى " بانتظار تقدم الجيش الأحمر الى الحدود الآذربيجانية واغتنام تلك الفرصة للبدء فى الثورة المسلحة فى البلاد "(١٤).

ولقد سارت الأحداث بشأن تطبيق النظام السوفييتى، كما تشير المصادر السوفييتية خاصة كالآتى:

فى جلسة ٢٢ أبريل (نيسان) من الاجتماعات التى عقدتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) الآذربيجانى بالاشتراك مع أعضاء مكتب باكو التابع

---

(١٣) نفس المرجع السابق.

(١٤) "تاريخ معارك الحزب الشيوعى الآذربيجانى"، باكو فى عام ١٩٥٨، ص ٢٣٧.

للجنة القطاع القوقازى للحزب الشيوعى (البلشفى) الروسى مع ممثلى الجيش الأحمر الحادى عشر الذى كان قد شرع فى الهجوم على سواحل بحر قزوين فى ذلك الوقت، تقرر إنذار حكومة حزب المساواة — وسلم الانذار لها فى تمام الساعة ١٢ من يوم ٢٧ أبريل (نيسان) — مطالباً بتسليم مقاليد الحكم للشيوعيين(١٥)، على ان تضع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الآذربيجانى بالاشتراك مع مكتب باكو التابع للجنة القوقازية الجنوبية للحزب الشيوعى (البلشفى) الروسى خطة الاستيلاء على الحكم(١٦). وفى ليلة ٢٧ أبريل (نيسان) وفى الساعة ١٢,٠٥ أخذت أربعة قطارات مسلحة تحمل قوات تابعة للجيش الأحمر الحادى عشر بقيادة أ. ميكويان تتقدم نحو باكو، وفى نفس الوقت شرعت وحدات البنادق التابعة لقوات المشاة تؤيدها وحدات من الفرسان من الجيش الأحمر الحادى عشر فى إقتحام باكو فى الساعة الرابعة من صباح نفس اليوم. ثم أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) الآذربيجانى سقوط المدينة وسقوط حكومة المساواة وقيام اللجنة الثورية العسكرية المؤقتة بدلا منها. كما عينت الوفد الذى حمل الانذار الشيوعى الى برلمان جمهورية آذربيجان فى الساعة الثانية عشرة يوم ٢٧ أبريل (نيسان). ولم يمض إلا وقت قصير حتى كانت لجنة الثورة العسكرية المؤقتة وأعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الآذربيجانى قد إحتلوا أماكنهم فى مبنى البرلمان(١٧).

ولم يجد أعضاء البرلمان الآذربيجانى بداً من قبول المطالب التى تقدم بها الشيوعيون تحت تهديد الجيوش والمدافع والقطارات المسلحة الموجهة صوب المدينة.

وهكذا حدث فى آذربيجان مثلما حدث فى قازاقستان وغيرهما من البلاد التى كانت تخضع فيما سبق للإمبراطورية القيصرية. تأتى قوات الجيش الأحمر البلشفى فتحتل البلاد وتنصب على رأسها تحت تهديد السلاح أقلية من عملائها الشيوعيين الخارجين على الدين وعلى إجماع شعوبهم ثم تسمى ذلك "ثورة العمال والفلاحين" و "نضال البروليتاريا" من أجل الاشتراكية.

وفى ٢٧ أبريل (نيسان) فى أثناء دخول القطارات المسلحة ووحدات البنادق والفرسان التابعة للجيش الأحمر الحادى عشر الى باكو لاحتلالها وللقضاء على استقلال جمهورية

---

(١٥) "تاريخ القطاع العسكرى للقوقاز الجنوبية ذات الراية الحمراء"، موسكو عام ١٩٦٩، ص ١٦.
(١٦) "تاريخ معارك الحزب الشيوعى الآذربيجانى"، ص ٤٤٠.
(١٧) "تاريخ القطاع العسكرى . . ."، السابق ذكره، ص ٢٧ و "تاريخ معارك . . ."، السابق ذكره، ص ٤٤٠.

آذربيجان الديموقراطية القومية(١٨)، تسلم لينين برقية جاء فيها " أن الكادحين الآذربيجانيين قد إستقبلوا الجيش الأحمر الذى حررهم من مظالم الرأسمالية بفرح عظيم وكانوا يحيون جنوده تحية البطل المنقذ "(١٩). ومما هو جدير بالذكر ان لينين كتب بخط يده على هامش هذه البرقية تعليقاً وجهه الى مساعده ستالين قال فيه: " هل ترى نشر نص هذه البرقية فى الصحف ؟ " وهذا مما يدل بصورة لا تدع مجالا للشك ان لينين نفسه كان متردداً فى إذاعة مثل ذلك الزيف والزور والبهتان.

ولقد جاء فى نفس تلك البرقية ما يدل على النوايا الاستعمارية الأمبريالية الشيوعية الروسية إذ جاء فيها:

وقد حيل دون تحقيق المخطط البورجوازى الجهنمى الرامى الى نسف مستودعات النفط عند إنسحاب حكومة المساواة من الحكم وذلك بفضل الضربات القاضية التى وجهتها وحدات الصاعقة العظيمة التابعة للجيش الأحمر الحادى عشر بعد ان قطعت فى هذه الأيام ما يقارب من مائتى فرست (قياس روسى يساوى ١٠٦٠ متراً). وهذا نصر نهديكم إياه تحية فى أول مايو. فقد أصبحت ملايين الأطنان المخزونة من البترول المأخوذة من أيدى البرجوازية الدولية ملكاً خالصاً للبروليتاريا...(٢٠).

وطلبت لجنة الثورة العسكرية الآذربيجانية، التى ظهرت على مسرح الأحداث فجأة بمجرد ان تم إحتلال الجيش الأحمر لباكو، فى برقيتها تلك نجدة عسكرية من حكومة لينين مبينة فيها وجهة نظرها وتقول فيها أنها " تولت الحكم كلجنة ثورية عسكرية مؤقتة لجمهورية آذربيجان السوفييتية المستقلة التى تولت الحكم بارادة الكادحين والفلاحين الآذربيجانيين وبمساندة البروليتاريا الثورية فى باكو". كما ذكرت ان حكومة حزب المساواة السابقة كانت عدوة الشعب وعدوة استقلال البلاد(٢١). وراحت اللجنة ترجو موسكو ان ترسل إليها وحدات من الجيش الأحمر لتخوض المعركة الى جانبها ضد الامبريالية العالمية. وبعبارة أوضح فان الجيش الأحمر كان يدعو نفسه بنفسه الى آذربيجان.

وحين تحدث بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى فى إحتفالات آلما آتا التى أقيمت بمناسبة الذكرى الخمسين لانشاء جمهورية قازاقستان شعر بحاجة الى التلميح ببعض عبارات عن الأعياد والمناسبات القومية لهذه الشعوب فقال:

---

(١٨) "او برازفانيه س.س.س.ر."، ص ١٥٥.
(١٩) نفس المرجع السابق.
(٢٠) نفس المرجع السابق.
(٢١) المرجع السابق، ص ١٥٦.

أيها الرفاق، هناك مناسبات تاريخية لكل شعب يذكرها دائماً ويعتز بها ويتناقل ذكراها من جيل الى جيل كأقدس المعانى وكرمز لانتصاراته وآماله العظمى. وكان توقيع لينين وكالينين فى ٢٦ أغسطس (آب) ١٩٢٠ على قرار إنشاء جمهورية قازاقستان الاشتراكية السوفييتية قد أوجد للشعب القازاقى مناسبة مماثلة(٢٢).

ان ما قاله بريجنيف لا ينطبق على الحقيقة فى شىء. فما كان قرار ٢٦ أغسطس (آب) ١٩٢٠ الذى أشار إليه إلا قراراً بأنهاء إستقلال شعب القازاق وبالقضاء على جمهوريته القومية الذى أسسها بجهوده ونضاله من أجل التحرير القومى. ان هذا القرار المشئوم قد قضى على كيان جمهورية اولاش أورطة التى أعلن المجلس التأسيسى القازاقى العام الثالث قيامها فى ٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧، بناءاً على الارادة الحقيقية للشعب القازاقى— القيرغيزى. ان تلك القوى القومية التى هاجمها بريجنيف وكوناييف رئيس الحزب الشيوعى القازاقى مرات كثيرة فى خطبهم أثناء إحتفالات آلما آتا والتى وصفاها بأنها عدوة الثورة(٢٣)، كانت فى الواقع تتكون من ممثلى قوى التحرير والاستقلال للشعب القازاقى—القيرغيزى الذى سعى للتحرر من الاستغلال والتحكم الأجنبى ورفض ان يبقى تحت وصاية الغير وأقام جمهوريته المستقلة ووضع عليها حكومته المختارة بعد ان بلغهم بيان ٢٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩١٧ الشهير الذى وقعه لينين وستالين وخاطبا فيه مسلمى روسيا قائلين: "نظموا حياتكم القومية وفق إرادتكم المطلقة وبكل حرية، فان لكم الحق فيما تتخذونه من أساليب فى تنظيمها بالشكل الذى تريدونه"(٢٤). ولكن القازاقيين عرفوا الحقيقة المرة بمجرد ان قضت الجيوش البلشفية على جمهوريتهم وعلى رغبتهم الحرة واستقلالهم القومى وقامت باحتلال بلادهم فى شهر مارس (آذار) ١٩٢٠، وتبينت لهم الاطماع الروسية الشيوعية الحقيقية فى بلادهم والرغبة لاخضاعها لسيطرة الامبراطورية الحمراء.

ان جمهورية قازاقستان اليوم دولة لا تتمتع بحق تقرير المصير، فقد تنازلت صاغرة عن جميع حقوق السيادة الوطنية الى موسكو بصفتها الوصية عليها. ومن المفروض ان هذه الدولة تملك ما على أرضها وما فى باطنها من ثروات، ولكن واقع الأمر انها لا تملك أى شىء من ذلك.

ولقد أطنب كل من بريجنيف وكوناييف فى خطابيهما فى ذكر النجاح الذى احرزته هذه البلاد فى ميادين الثقافة والصناعة فى العهد السوفييتى. وفى رأينا ان حديث الزعماء

---

(٢٢) "كازاغستانسكايا برافدا" فى ١٩٧٠/٨/٢٩.
(٢٣) نفس المرجع السابق.
(٢٤) "اوبرازوفانيه س.س.س.ر."، ص ٢٢.

السوفييت عن درجة ذلك النجاح لا يغيّر شيئاً من أساس المشكلة، إذ لو رغبت موسكو فى شيء فلا يمكن ان يحدث الا هو، كما ان القازاقيين لن يجرؤا على ان يقولوا لموسكو لماذا تفتقر بلادنا الى كل شيء؟ . . . ".

لقد كان مثلا من الوعود الخلابة التى قطعتها " ثورة البروليتاريا " على نفسها لهذا الشعب، هو إزالة آثار المظالم التى وقعت عليه من رجال الحكومة القيصرية بمصادرة أراضيهم الزراعية. ومن المعروف ان ما يقرب من ٤٠ مليون دونم من الأراضى الزراعية الخصبة قد اغتصبتها السلطات القيصرية من ملاكها الأصليين ومنحتها للمهاجرين الروس الذين استوطنوا فى القازاق فى العهد القيصرى. ووعدت حكومة الثورة باعادة هذه الأراضى المغتصبة الى القازاقيين وإيقاف سيل الهجرات الروسية الى بلادهم. ولكن شيئاً من هذا أو ذاك لم يحدث .

لقد اعتقد الشيوعيون القازاقيون فى بادىء الأمر فى صدق اسطورة الاستقلال الذى وعدوا به، وقاموا تحت تأثير هذا الاعتقاد باتخاذ قرار صدر عن المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى القازاقى عام ١٩٢٦ يقضى بمنع تمليك الأراضى القازاقية للمهاجرين الروس الذين وصلوا الى البلاد بعد ٣١ أغسطس (آب) ١٩٢٥. وعلى هذا يكون أمامهم اما ان يعودوا من حيث أتوا أو ان يقيموا فى هذه الأراضى كمستأجرين. وحاولت الحكومة القازاقية تنفيذ هذا القرار. ولكن غولوشكين الذى أوفدته موسكو ليكون مسئولا عن سياستها فى القازاق لم يعجبه هذا التصرف من الحزب القازاقى والحكومة القازاقية، وان كان قد تحاشى ان يقف صراحة فى وجه هذا القرار فلجأ الى المكر والتهديد لإبطاله. ولقد تحدث غولوشكين بنفسه عن موقفه فى ذلك الوقت فقال :

طلبت تشكيل لجنة لمناقشة هذا الموقف فرفضوا إقتراحى بالاجماع. فرجوت الرفيق على بيكوف والآخرين الذين استدعيتهم قبل اجتماع اللجنة ان يقصوا على ما حدث. وتبين لى ان تنفيذ قرارهم هذا سوف يترتب عليه إما إعادة ما يقرب من ٤٠ أو ٥٠ ألف مهاجر الى حيث أتوا، أو ان يظلوا فى البلاد مستأجرين للأرض . . . ثم توجهت حيث إجتمعت اللجنة وقلت لهم : أيها الرفاق، ان تنفيذ قراركم هذا أمر مستحيل. وإذا أصررتم عليه، فهل يا ترى تكون لديكم القوة المسلحة التى تستطيعون بها إعادة مائتى ألف روسى؟ وهل لديكم الأموال الكافية اللازمة لمصاريف ترحيلهم الى بلادهم؟ ثم مضى غولوشكين فى كلامه وكأنه يهزأ بمن خاطبهم : فخجلوا ورضوا . . . ثم انصرفوا بعد ان صرفوا النظر عن هذا الموضوع (٢٥).

---

(٢٥) "انبكجى قازاق" (القازاق الكادح)، ١٩٢٧/١١/٢٨، آلما آتا، ونقلا عن مؤلف "التركستان تحت الحكم السوفييتى" لمصطفى جوقاى اوغلى، باريس عام ١٩٣٥، ص ٦١.

ولم يكن تصرف " ممثلى الكادحين القازاقيين الصوريين مصدره الخجل كما جاء بكلام غولوشكين ولكن إدراكهم لحقيقة انهم لا يملكون " القوة المسلحة " لدرء التهديد الذى جاء على لسان الروسى المذكور، لم يترك أمامهم طريقاً غير ان يتنازلوا عن حقوق " الكادحين القازاقيين " الى " الكادحين الروس ".

ولنغض النظر عن المظالم التى وقعت على أراضى القازاقيين فى عهد حكومة روسيا القيصرية فهناك ما هو أصعب منه وأمر، الا وهو ان القازاقستان منذ ان دخلت فى حكم روسيا السوفييتية قد صارت مسرحاً شهد سيولا من هجرات الروس لم يسبق له مثيل فى العهد القيصرى. وكان ما ينتظره السوفييت من السكك الحديدية التركستانية السيبيرية، ليس الا لتحقيق هدف أكبر ومخطط لتهجير الروس وتوطينهم فى القازاقستان. ولقد خصصت أخصب الأراضى التى تمتد بمحاذات ذلك الخط للمهاجرين الروس بينما كان أهالى القازاق الأصلين يطردون الى الأراضى البور التى لم تتوفر فيها المياه للشرب ولا المراعى(٢٦)، حيث أنشئت لهم مزارع جماعية فى تلك الأراضى الجديدة برغم إعتراضاتهم وتوسلاتهم للاحتفاظ بأراضيهم القديمة الخصبة المليئة بالغابات والمراعى(٢٧).

واستمرت سيول الهجرات السلافية الى القازاقستان حتى طمست معالمها القومية وتلاشى كيانها الذاتى تحت ضغط هذه الهجرات السلافية وبالأخص من الروس. وصار السكان الروس البالغ عددهم فى عام ١٩٥٩ ما قدره ٤ ملايين نسمة يؤلفون ٤٣,٧٪ من مجموع سكان البلاد. وبلغ عدد الأوكرانيين ٧٥٠ ألف نسمة يؤلفون ٨,٤٪ من مجموع السكان. اما البيلوروسيين والكوريين والبولنديين واليهود والمورداقيين فقد كانوا جميعاً يؤلفون ١٦٪ من السكان، بينما لم تزد نسبة الأتراك القازاقيين المسلمين وهم أصحاب البلاد الأصليين عن ٢٩,٦٪ فقط(٢٨). هذا والسلطات السوفييتية لم تعلن بعد نسب القوميات المختلفة من سكان بلاد القازاق فى احصاءات يناير (كانون الثانى) ١٩٧٠. ولن تكون مفاجاءة لأحد حين تعلن هذه النسب ويتبين منها ان عدد الروس والسلاف عموماً قد زاد فيها أكثر فأكثر.

لقد قال بريجنيف فى خطابه فى إحتفالات باكو فى سياق ما قاله إستخفافاً بالتاريخ القومى للأتراك الآذربيجانيين ما يلى:

---

(٢٦) "قازاغستانسكايا برافدا" فى ١٩٣٣/١٠/٢٣، ونقلا عن مصطفى جوقاى اوغلى، ص ٨.
(٢٧) نفس المرجع السابق.
(٢٨) "تعداد سكان الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٩"، موسكوعام ١٩٦٢، ص ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٨٩.

لقد قطع شعب آذربيجان مرحلة طويلة فى تطوره، ولكن تاريخه الحقيقى لم يبدأ إلا من خمسين سنة فى ظل تعاون عمال آذربيجان وفلاحيها مع البروليتاريا الروسية ومع قوات الجيش الأحمر التى أسقطت حكومة حزب المساواة البورجوازى عدو الشعب. هذا التعاون قد فتح لآذربيجان طريق الحرية القومية وسبيل العدالة الاجتماعية(٢٩).

وليس هناك ما يدعو لمناقشة ادعاءات بريجنيف البعيدة كل البعد عن الحقيقة والتى يصف فيها احتلالا أجنبياً استعمارياً سلب الشعب الآذربيجانى استقلاله وقضى على قوميته التركية، بأنه "بداية تاريخ" لشعب حمل مشعل الحضارات الكبرى لقرون طويلة مضت. وأقل ما يمكن قوله فى وصف بريجنيف لحكومة حزب المساواة التى أتت الى الحكم عن طريق انتخابات حرة شرعية بأنها "عدوة الشعب" أنه قول باطل ومحاولة مضحكة لتشويه الحقائق التاريخية الثابتة. لقد حصل حزب المساواة على ٤٠٥ الاف صوت من ٦٣٤ ألف إشتركوا فى إنتخاب حر للمجلس التأسيسى فى آذربيجان ولقد كسب حزب المساواة ثقة الأمة لأنه سار تحت شعار "آذربيجان الديموقراطية القومية المستقلة"(٣٠).

لم يدع بريجنيف وحيدر علييف فرصة أثناء إحتفالات باكو إلا وتحدثا عن ان آذربيجان لم تنل حقوقها الا فى ظل الحكم السوفييتى فقط". ودعنا نتحقق من مبلغ صدق هذا الادعاء من واقع ما تقدمه الوثائق والمراجع الرسمية السوفييتية نفسها.

سبق ان وقع كل من وفدى جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفييتية وجمهورية آذربيجان الاشتراكية السوفييتية فى ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٢٠ على اتفاقيتين للتحالف بين البلدين أحداهما "إتفاقية عسكرية إقتصادية"(٣١)، والأخرى "إتفاقية للتكامل السياسى والاقتصادى"(٣٢).

والمادة الثانية من الاتفاقية الأولى تنص على "توحيد التنظيم العسكرى والقيادات العسكرية، وتوحيد الأجهزة التى تسير الاقتصاد الشعبى والتجارة الخارجية والصناعة والسكك الحديدية والمواصلات البحرية وادارات البريد والبرق والميزانية"(٣٣).

---

(٢٩) البرافدا فى ٣/١٠/١٩٧٠.
(٣٠) "لاديموزراسى جورجيين"، باريس عام ١٩٢١، ص ١١٣.
(٣١) "اوبرازوفانيه س.س.س.ر."، ص ٢٤٧.
(٣٢) المرجع السابق، ص ٢٤٨.
(٣٣) المرجع السابق، ص ٢٤٧.

واما المادة الأولى من الاتفاقية الثانية فكانت تقضى بأن تتعهد آذربيجان بتخطيط إنتاجها حسب مقتضيات الاقتصاد الروسى العام. وان تتعهد بتوزيع ما لديها من مواد خام ومنتجاتها بعد الحصول على موافقة روسيا. وتنص المادة الخامسة من تلك الاتفاقية على تحديد أسعار المواد الخام والمنتجات الصناعية. اما المادة السادسة فكانت تنص على وجوب حضور مندوب عن المجلس الاقتصادى الشعبى الروسى فى إجتماعات المجلس الاقتصادى الشعبى الآذربيجانى(٣٤). ولقد أعطى هذا المندوب الروسى بموجب ملحق سرى للاتفاقية لم يظهر بين بنودها المعلنة، حق الاعتراض (الفيتو) على أى قرار يتخذه المجلس.

وهكذا صارت آذربيجان بكاملها وبكل ما عليها من ثروات وطاقات بشرية ملك لروسيا.

وقال بريجنيف فى خطبته فى باكو: "لقد إنتهت الخصومات القومية بين الشعوب القوقازية التى كانت الطبقات المستغلة تنفخ فى نيرانها، وتتسبب فى وقوع صدامات دموية بين هذه الشعوب، إنتهت بفضل إنتصار الحكم السوفييتى فى آذربيجان(٣٥). الخلافات التى كانت تنشب بين شعوب القوقاز الجنوبية وبصفة خاصة بين الآذربيجانيين والأرمن من حين الى حين بسبب النزاع على الأراضى وغير ذلك قد زالت فى العهد السوفييتى، ولكن هذا لا يعنى إطلاقاً ان روسيا فعلت ذلك بدافع من الايمان بالمساواة بين الشعوب أو إيمانها بالحق والعدالة.

لقد كانت روسيا تسعى الى الحصول على تأييد الشعب الأرمنى المعارض لتركيا وتهدف من وراء ذلك الى تحقيق أملها فى التوصل الى إحتلال دول القوقاز الجنوبية — وهى الدول التى كانت قد أعلنت إنفصالها عن روسيا — وكان هذا هو التكتيك البلشفى فى ذلك الوقت، لدرجة ان حكومة لينين وصفت الولايات الشرقية فى تركيا التى كانت فى ذلك الوقت تحت إحتلال الجيوش الروسية بأنها "أرمينيا التركية". ثم أعلنت حكومة لينين فى بيان إذاعته فى ٣١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧ "عزمها على الدفاع عن حق تقرير المصير للشعب الأرمنى المقيم فى هذه الأراضى والتعهد له بمنحه الاستقلال التام"(٣٦).

---

(٣٤) المرجع السابق، ص ٢٤٨.
(٣٥) البرافدا فى ١٩٧٠/١٠/٣.
(٣٦) "اوبرازوفانيه س.س.س.ر."، ص ٢٧.

ثم ظهر ان توقف حكومة لينين هذا لم يكن فى واقع الأمر الا لتحريض الأرمن على تركيا، وهذا كما ثبت فى إجتماعات برست ليتوفيسك الذى وافقت فيها روسيا البلشفية على ان تعيد الى تركيا " أرمينيا التركية " وزيادة عليها ولايات قارص وارضخان وباطوم، وهى الأقاليم التى كانت قد ضمت الى الأراضى الروسية بعد الحرب الروسية التركية (١٨٧٧–١٨٧٨).

وازاء ما حل بروسيا من فشل ذريع فى المجال الدولى قامت بتحميل آذربيجان وزر ذلك الفشل وأرغمتها على التنازل عن ولايات نخشيوان وداغق–قاراباغ و زنكيزور وعن المناطق الجبلية بين كنجة والقازاق الى أرمينيا. وتم هذا التنازل فى أول ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٠. ولقد علق ستالين على هذا الموضوع فى مقالة نشرتها جريدة برافدا فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٠ بعنوان " لتعش أرمينيا السوفييتية " :

ان آذربيجان السوفييتية قد تنازلت فى أول ديسمبر (كانون الأول) وبمحض ارادتها عن الادعاء بملكية الولايات التى كانت موضع الخلاف. وأعلنت تنازلها عن ولايات زنكيزور ونخشيوان وقاراباغ الجبلية لارمينيا السوفييتية(٣٧).

ولكن على أثر توسط الحكومة التركية تقرر بقاء ولايتى نخشيوان وقاراباغ الجبلية مع آذربيجان على ان تتم ادارتهما وفقاً لنظام خاص.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد كان هناك خلاف بين آذربيجان القومية وجمهورية جورجيا على الحدود بينهما. ثم اتفقت الدولتان الجارتان فيما بينهما على القبول بتحكيم دولى فى شأن المنطقة المتنازع عليها وهى منطقة بورجالى التى يسكنها الآذريون. ومثلما حدث فى موضوع أرمينيا أجبرت موسكو آذربيجان على التنازل عن تلك المنطقة الى جمهورية جورجيا بعد ان دخلت فى حكم البلاشفة.

لقد تحدث كل من بريجنيف وكوناييف وعلييف عن التطور الاقتصادى والثقافى الذى حققته هاتان الدولتان — قازاقستان وآذربيجان — فى العهد السوفييتى. وأفاضوا فى الحديث عن المصانع الكبرى والمؤسسات الزراعية الهائلة فقال بريجنيف :

أن جمهورية قازاقستان الاشتراكية السوفييتية هى إحدى الجمهوريات الشقيقة التى تملك أوسع الحقول الزراعية والمعادن والبترول والفحم والكروم والحديد الخام والفوسفور. وبوجه عام فان ثرواتها خيالية وهى كذلك من أكبر المراكز لتربية المواشى فى الاتحاد السوفييتى (٣٨).

---

(٣٧) نفس المرجع السابق.

(٣٨) "كازاغستانسكايا برافدا" فى ١٩٧٠/٨/٢٩.

فى عام ١٩٧٠ بلغ إنتاج جمهورية قازاقستان ١٤ مليون طن من البترول وما يزيد عن مليار متر مكعب من الغاز الطبيعى، و ٦٠,— مليون طن من الفحم، وما يقرب من مليونى طن من الحديد المطاوع، ومليون ونصف مليون طن من الحديد الصلب، وحوالى المليون والنصف من الأسمدة الكيماوية، وأكثر من ٢٠ مليون طن من الحبوب(٣٩).

وفى آذربيجان بلغ الانتاج فى عام ١٩٧٠ كذلك، ٢٠ مليون و ٤٠٠ ألف طن من البترول، و ٤ مليارات و ٩٠٠ مليون متر مكعب من الغاز الطبيعى، ومليون و ٤٢٣ ألف طن من الحديد المطاوع، و ٧٢٨ ألف طن من الحديد الصلب، و ٥١٧ ألف طن من الأسمدة الكيماوية، ومليون و ٣٠٠ ألف طن من الأسمنت، و ٥٧٢ ألف طن من الحبوب، و ٣٠٠ ألف طن من القطن(٤٠).

لقد ظن الخطباء الذين عددوا بهذه الطريقة التطورات التى حدثت فى قازاقستان وآذربيجان أنهم بذلك قد ردوا على " محاولة الأيديولوجيين الامبرياليين لتشوية التجربة السوفييتية لايجاد حلول لمشاكل القوميات "(٤١).

وبرغم ان موسكو تملك جهازاً من أعظم أجهزة الدعاية فقد حاولت دائماً ان تتنصل مما يوجه الى سياستها الاستعمارية الجديدة من اتهامات بوصف كل من ينقد تصرفاتها وسياستها بأنهم " أيديولوجيون استعماريون " . لقد أنشىء فى قازاقستان وآذربيجان مجموعة من المؤسسات الصناعية والزراعية الكبرى والصغرى بالفعل، ولكن هذه المؤسسات جميعها وخاصة الكبرى، تخضع لسيطرة موسكو وتدار من أجل ضمان مصالح الروس وحدهم دون مصالح أهل البلاد الأصليين. كما ان أمر انشاء مثل هذه المؤسسات أو بقاءها أو إلغاءها يرجع أولا وأخيراً الى إرادة موسكو دون غيرها. بل ان موسكو لو أرادت اسقاط جمهورية قازاقستان من قائمة " الجمهوريات الاتحادية " بحجة ان نسبة المحليين من سكانها لا تزيد عن ٢٩,٦٪ لما منعها مانع، وهذا كما فعلت مع جمهورية كاريليا— الفنلندية الاشتراكية السوفييتية فى عام ١٩٥٦(٤٢). ولو أرادت موسكو ان تسلخ باكو من آذربيجان بحجة ان معظم سكانها من الروس، كما فكروا فى ذلك عام ١٩٢٠، لما حال دون إرادتها حائل. ان لموسكو من السيطرة والجبروت ما يجعلها قادرة على ان

---

(٣٩) نفس الصحيفة فى ١ و ٢ و ١٩٧٠/٨/٢٩

(٤٠) "باكنسكى رابوتشى" فى ١٩٧٠/٢/١.

(٤١) "كازاغستانسكايا برافدا" فى ١٩٧٠/٨/٢٩.

(٤٢) الأزفستيا فى ١٩٥٦/٧/١٧.

ترغم الشعوب الصغيرة المستضعفة التابعة لها على الهجرة من أوطانها جماعات الى مناطق أخرى متفرقة، وتحل فى محلهم شعوباً أخرى، وتغير أسماء البلاد والمدن بل والشعوب أنفسها.

وليس هناك أى نوع من الضمانات أمام ما يمكن ان تقدم عليه موسكو من تصرفات كهذه. فان تاريخ الحكم السوفييتى ملىء بالأمثلة الأليمة. وليس ما حدث مع أتراك القرم والماق ودى ايديل، وشعوب التشيتشين والانغوش والقاراتشاى والقالموق من سكان القوقاز الشمالية ببعيد عن الأذهان. ان هذا التاريخ يجعل التشاؤم أمراً سليماً يستند على الواقع وليس على الخيال.

لقد إمتلأت خطب السيدين كوناييف وعلييف فى إحتفالات آلما آتا وباكو بعبارات الثناء على الشعب الروسى ومدح النظام الشيوعى السوفييتى، فقال كوناييف مثلا فى فقرة من خطبته:

ان الدور التاريخى الذى لعبته الثقافة الروسية دور كبير فى تأسيس الثقافة الشعبية القازاقية وتطورها. ونحن مدينون بالعرفان بكل جوارحنا لرجال الثقافة والعلوم فى هذا الشعب الروسى العظيم الذى قام بمساندة تطور الثقافة القازاقية القومية والعلوم(٤٣).

وقال علييف كلاماً مماثلا جاء فيه:

ان شعبنا يحفظ فى قلبه كأمانة مقدسة ذلك الوفاء بالجميل تجاه شقيقه الأكبر الشعب الروسى العظيم لما قدمه من عون أثناء نضاله لاقامة الحكم السوفييتى الاشتراكى والشيوعى فى البلاد(٤٤).

وبرغم ما يبديه المسؤلون الحكوميون فى آذربيجان وقازاقستان من ولاء وخضوع للكرملين، فان بريجنيف قد عبر فى خطابه عن عدم رضائه عما أنجز من أعمال. وطالب الناس سواء فى آلما آتا أو فى باكو بمزيد منها وقال:

ان ما أنجز من الأعمال لا يعتبر سبباً كافياً لحمل الانسان على الرضاء(٤٥) . . .

يلزم زيادة التشريعات التأديبية والتأكيد على مسؤوليات الوظائف العامة(٤٦). . .

فهناك تخلف ملحوظ فى تنفيذ خطة الانتاج الصناعى(٤٧) . . .

ثم أشار الى أنه سيتيح لرجال الحكومة فرصة جديدة لاستدراك ما فات وتعويض النقص حتى مؤتمر الحزب الرابع والعشرين المقرر عقده فى شهر مارس (آذار) ١٩٧١(٤٨).

---

(٤٣) "كازاغستانسكايا برافدا" فى ١٩٧٠/٨/٢٩.
(٤٥) البرافدا فى ١٩٧٠/١٠/٣.
(٤٦) نفس المرجع السابق.
(٤٧) نفس المرجع السابق.
(٤٨) نفس المرجع السابق.

وكان رد كوناييف على ما وجهه بريجنيف من لوم لرجال الحكومة القازاقية بأن: "نبأ اجتماع المؤتمر الرابع والعشرين للحزب يحفز جميع كادحى الجمهورية للقيام بنشاط سياسى وعملى عظيم(٤٩).

أما عليف فقد وقف يؤكد للحزب الشيوعى وللحكومة السوفييتية ولبريجنيف شخصياً ان "عمال وفلاحى ومثقفى آذربيجان السوفييتية سيزيدون باستمرار من تصميمهم على إضافة جديد تحقيقاً للهدف المثالى الرامى الى ارساء قواعد الشيوعية "(٥٠).

وأخيراً، فان سيف الارهاب الشيوعى الروسى المسلط على رقاب شعوب الاتحاد السوفييتى غير الروسية يحمل هذه الشعوب على الرضوخ لإرادة موسكو بلا أى اعتراض، بل وبالتظاهر بالسعادة والرضاء التام. فلا غرابة ان نرى شعبى قازاقستان وآذربيجان يحتفلان بذكرى مرور خمسين عام على قيام الحكم السوفييتى فى جمهوريتيهما. بل لقد إحتفلت آذربيجان فى عام ١٩٦٤ بذكرى مرور ١٥٠ عام على الاحتلال الروسى لآذربيجان فى إحتفالات عظيمة دامت أياماً واتخذت شكل "العيد القومى "(٥١).

---

(٤٩) "كازاغستانسكايا برافدا" فى ١٩٧٠/٨/٢٩.
(٥٠) "باكنسكى رابوتشى" فى ١٩٧٠/١٠/٣.
(٥١) المرجع السابق، وأنظر مجلة "كوميونست" فى ٥/٣٠ – ١٩٦٤/٦/٣.

الجيـل الثالـث مـن القـادة السـوفييت

بقلم: عبد الرحمن افتور خانوف

المقالة التالية مقتطفة من مجموعة المقالات الدورية كتبها المؤلف فى يونيه ١٩٦٩ تحت عنوان "الاستراتيجية السوفييتية فى السبعينات" تحت اشراف معهد الدراسات العليا لروسيا وأوروبا الشرقية بالجيش الأمريكى. ولقد تفضل المعهد بالإذن بنشر هذه المقالة، ولكن لا يتحمل أى مسؤولية عما ورد بها من آراء. ولسوء الحظ فقد تأخر موعد النشر بسبب اعتبارات فنية.

يمكن التكهن بان جيلاً ثالثاً من البلاشفة، يقوم أساساً على أفراد إنتموا الى الحزب بعد موت ستالين، سوف يعمل فى العقد القادم (السبعينات) على الاستحواز على السلطة على أعلى مستوى وأوسعه تغلغلاً فى أجهزة الحزب إذا لم تحدث تطورات غير متوقعة. وان عملية تجديد شباب الحزب هـذه لواضحة وضوحاً جلياً من هبوط مستوى أعمار أعضاء الحزب عامة وبالنسبة لأجهزته العليا، وبنوع خاص اللجنة المركزية والمكتب السياسى (البوليتبيرو)، وهذا ما نتبينه من الاحصاء التالى:

هبوط مستوى الأعمار فى الحزب الشيوعى السوفييتى ١٩٦٦–١٩٦٧

(النسب المئوية)

	فوق ٥٠ سنة	تحت ٤٠ سنة
جميع الأعضاء العاملين والمنتسبين.....	٢٢,٩	٥١,٥
اللجنة المركزية.....	٥٠,٦	١١,١
المكتب السياسى.....	١٠٠	صفر

المصادر: "الكتاب السنوى للموسوعة السوفييتية الكبرى"، ١٩٦٦، موسكو، صفحات ٥٧٤–٦٢١. "بارتينايا زيزن" ١٩٦٧، رقم ١٩، ص ١٦.

والصورة التى تقدمها هذه الأرقام واضحة: حزب شاب ولجنة مركزية معمرة.

ونظراً لأن منظمى الحزب (أى الأفراد المتفرغين للعمل الحزبى من بين أعضائه)، ليسوا مثل موظفى الحكومة السوفييتية، يحالون تلقائياً الى المعاش عند بلوغهم سناً محددة، فان إختلال النسبة بين الشباب والشيوخ فى اللجنـة المركزيـة يميل الى ترجيح كفة

الشيوخ فيها. وهذا ينطبق أيضاً على لجان الحزب فى الأقاليم والمحافظات واللجان المركزية فى الجمهوريات الاتحادية، حيث نجد متوسط السن بين السكرتيرين يتراوح بين ٥٠ الى ٦٠ عام.

ومع ذلك فانه ابتداءاً من منتصف السبعينات، سوف يصعد الجيل الثالث من البلاشفة بكل تأكيد الى قمة السلطة. وسوف تلقى على عاتق هذا الجيل مسؤولية تقديم إجابة نهائية على السؤال الأساسى: أى طريق سوف يسلكه الاتحاد السوفييتى؟ وبمعنى أوضح، الى اى مدى يكون استمرار سياسته وأيديولوجيته وسلطة الحزب، وعما إذا كان الانحراف عن المنهج السابق للحزب سيكون مسموحاً ؟

ومما ينبغى الاحاطة به فى هذا الشأن ان القوانين التى يعمل بها فى المجتمعات المفتوحة وتحت أنظمة ديموقراطية، لا تسرى على الاتحاد السوفييتى. فان الكفاءات الذاتية للمرشحين لشغل مراكز السلطة التى قد تكون فى الأحزاب السياسية الديموقراطية الغربية عاملا حاسماً فى هذا الخصوص نظراً الى المناقشة الحرة بين الكفاءات وحرية الاختيار فى داخل الحزب تكون هنا عاملا ثانوياً قليل الأهمية فى الحزب الشيوعى السوفييتى، حيث لا يستطيع الفرد ان يشق طريقه الا إذا كان قادراً على ان ينغمر فى داخل جهاز الحزب ويتخذ لنفسه شخصية "جماعية". ومن نقطة الاختلاف هذه استخرج البلاشفة قواعدهم الحزبية ومبادئهم الحزبية التى لا تنتهك، والتى يلتزمون بها التزاماً صارماً حتى أثناء التغيرات غير العادية فى السلطة (وعلى سبيل المثال، خلال عصر الارهاب المسمى عصر "يزوف"، والانقلاب الخروشتشوفى فى عام ١٩٥٧، ثم الانقلاب على خروشتشوف فى عام ١٩٦٤).

ان لينين هو الذى وضع مبادىء تنظيم الحزب وسياسته فى اختيار أفراده، خلال فترة نشوء البلشفية، وذلك فى مؤلفه المعروف "ماذا يجب عمله؟" (١٩٠٢). ومع ان هذه المبادىء قد وضعها لينين كأساس للعمل الحزبى تحت الحكم القيصرى، فأنها قد بقيت دون أى تغيير هام بعد ما جاء البلاشفة الى الحكم والسلطة. وهذه المبادىء هى:

أولا: ان الحزب لا يستطيع ان يمسك ويحتفظ بسيطرته ويوسعها فقط تحت قيادة مجموعة صغيرة من "المنظمين". ومن المعروف أنه لن يكون فى إمكان طبقة فى مجتمع حديث ان تقود نضالا هادفاً "بدون دستة من القادة ذوى الخبرة والموهوبين المدربين تدريباً خاصاً والذين تعلموا من الخبرة الطويلة ويعملون دائماً فى توافق تام"[1]. (وهذه المجموعة يمثلها اليوم المكتب السياسى للحزب).

---

(١) ف. أ. لينين، "الأعمال الكاملة"، الطبعة الخامسة، الجزء ٦، موسكو ١٩٥٩، صفحات ١٢١–١٢٢.

ثانياً: ان حكم الحزب "يمكن ان يتوطد فقط بواسطة منظمة ثابتة من القادة حتى يمكنه الاستمرار"(٢). (وهذا ما تقوم به اليوم سياسة الحزب فى اختيار الشخصيات الحزبية).

ثالثاً: "والمبدأ التنظيمى الأهم لأعضاء حركتنا يجب ان يكون: أشد درجة من التآمرية، أشد درجة من التدقيق فى إختيار الأعضاء، وتدريب الثوريين المحترفين" (٣).

(وهذا المبدأ ينفذ الآن من خلال عمل الجهاز الحزبى وتعليم "المنظمين الحزبيين" المحترفين).

وعندما نأخذ فى اعتبارنا تطبيق هذه المبادىء فى الحزب الشيوعى السوفييتى كما هو الآن، فأنه يجب ملاحظة أنه توجد هناك قيادتان فى داخل الحزب. قيادة ظاهرة منتخبة (ولو شكلا) ولذلك فهى قابلة للتغيير، وتتكون من لجان الحزب إبتداءاً من تنظيمات الحزب المحلية حتى اللجنة المركزية نفسها. والقيادة الأخرى خافية معينة "من جهات عليا" ولذلك فهى ثابتة، وتتكون من "المنظمين الحزبين" الذين يتمتعون بأعظم نفوذ ويتقاضون مرتبات من الحزب. والقيادة الأولى يسهل التعرف عليها، بينما الثانية تتألف من أفراد لا يعرف عنهم شىء بالمرة حتى فى داخل الحزب نفسه، ويشكلون الجهاز الحزبى الهائل الذى يحكم كلا الحزب والدولة. وهذا الجهاز عادة لا يتأثر بالتغيرات التى تحدث فى القيادة المنتخبة رسمياً. بل أنه يلعب دوراً قيادياً فى مثل هذه التغيرات (وعلى سبيل المثال، تصفية ستالين "للمعارضة داخل الحزب" ثم التعديلات التى حدثت بعد وفاة ستالين). وهكذا فان مسائل استبدال أصحاب المناصب الكبرى واستمرار السياسة لا تخص المكتب السياسى وسكرتيرية اللجنة المركزية وحدهما، فهى وثيقة الصلة بالتغيرات فى نطاق كبار البيروقراطيين فى الحزب بوجه عام.

ونظراً لأن البيروقراطيين ــ الموظفين ــ فى الحزب ينتمون الى نفس جيل البيروقراطيين ــ المنتخبين ــ فى الحزب، فان عملية انتقال السلطة سوف تحدث بالنسبة لكليهما فى نفس الوقت بالتقرب. وسوف تكون قيادة الحزب عندئذ فى يد الذين انضموا الى الحزب فى فترة التنديد بجرائم ستالين. ونحن نعرف من تاريخ الحزب ان الجيل الثانى ــ الستالينى ــ قد ظل على ولائه للجيل الأول ــ اللينينى ــ فيما يختص بالمبادىء الأساسية لتنظيم جهاز الحزب وطريقة عمله. وهنا يبرز السؤال عما إذا كان الجيل الثالث سوف يرث ذلك عن اسلافه. وفيما يختص بذلك فمن المهم ان نلقى نظرة على المعالم التى تميز أهم الشخصيات

---

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٤.
(٣) المرجع السابق، ص ١٤١.

القيادية التى تمثل هذين الجيلين، وخصوصاً ان كل فترة من تاريخ البلشفية تتميز بنوع خاص من "المنظمين الحزبين". ويبدو أمامنا هنا ثلاثة أنواع منهم. الأول هو "الكويتشيك" أى "الثورى المحترف" اللينينى، وهو عادة طالب لم ينه دراسته أو عامل علم نفسه وكان قبل الثورة ينتمى الى حركة سرية ماركسية وواجه متاعب متكررة مع السلطات وتعرض للحبس والنفى والإبعاد وقام بدور فعال فى الثورة وفى الحرب الأهلية، وأظهر شجاعة مع قسوة فى الوقت نفسه نحو "الأعداء الطبقيين" الذين قد يكون هو نفسه قد جاء من بينهم. وكان يرى القيام بمثل هذه الأمور من الفضائل ومن العدالة ومن الأمور الواجبة نحو المجتمع فى ضوء ما يلائم طبقة البروليتاريا، ويحكم على أفعاله نفسها بمقتضى ذلك. ومع أنه يكون ثورياً متعصباً فانه لا يعبـــد القوة، ولكنه يعتبرها أداة أو وسيلة لخلق المجتمع الذى يتحتم الا يحتاج الى ان يحكم بالقوة. وترتيبا على ذلك يرفض فكرة البيروقراطية المحترفة الدائمة. ولقد كان مثل هؤلاء الثوريين موضع انتقاد حتى من زعيمهم لينين، وكانوا من وجهة معينة غيريين (أى محبين للغير).

والنوع الثانى هو "الاباراتشيك" (أى المنظم الحزبى) الستالينى. وهو "ستالين صغير" فى نطاق سلطته. ويكون عادة تكنيكى متخصص ومتخرج من المعهد الحزبى التابع للجنة المركزية، ولم يشترك فى الثورة أو فى الحرب الأهلية، ولكنه قام بدور فعال فى "الثورة الثانية ــ الثورة من أعلى"، أى عملية تنفيذ الجماعية بالقوة وفى عمليات التطهير العديدة التى تحول بها الحزب اللينينى الى حزب ستالينى. وكذلك شارك تحت قيادة يزوف فى تصفية "أعداء الشعب". وهى العملية التى شملت عدد كبير من أصدقائه بل وأقاربه. وتحول بخبرة سنين طويلة فى تعقب واستئصال "الأعداء" الى شخص قاسى عديم التأثر عديم التفكير فى آلة الحزب الضخمة. والمقياس الوحيد الذى يعرفه للنجاح الشخصى هو السلطة. ومن أجل الحصول عليها فهو مستعد لأن يفعل أى شىء، حتى ولو كان ــ كما أظهره المؤتمر العشرين للحزب ــ بخيانة قائده ومعلمه ستالين.

والنوع الثالث هو "الاباراتشيك" بطريقة خروشتشوف ــ بريجنيف الذى قد يمكن تسميته نوع انتقالى أو نوع وسط من القادة. وهو بالتثقيف والاقتناع ستالينى خالص حدث له انقسام فى الشخصية جعله مضطراً الى التشهير بستالين ــ أو على الأقل التظاهر بذلك ــ فى المؤتمر العشرين للحزب. وحدثت عملية التشهير بستالين هذه تحت شعار ادانة "عبادة الفرد الستالينية" والعودة الى "مبادىء قيادة الحزب اللينينية". ومعنى هذا من الناحية العملية ان الستالينية كفلسفة حزبية لمناهج الحكومة قد صارت

مرفوضة. ان الحاكم بأمره الذى كان بالأمس " ستالينا صغيراً " يفرض سلطانه وأصبح اليوم فوق "الجماعات" منذ ان صار قائداً منتخباً يتصرف باسم "الجماعية" (مبدأ القيادة الجماعية). وهذا قد انطبق ولا زال ينطبق على جميع مستويات زعامة الحزب. وكان خروشتشوف مبتكر هذه القيادة الجماعية هو نفسه أول ضحاياها. وكان عزل خروشتشوف بالذات أهم ما كشف عن الازدواجية الحادة فى " النوع الانتقالى ". فان هذا النوع الانتقالى الذى صعد الى قمة السلطة عن طريق التشهير بستالين والتنديد بالستالينية ودعم مركزه باعلان ستالين عدوا للينينية (فى المؤتمر العشرين للحزب) قد غير مبدأه ورد الاعتبار الى اسم ستالين، بل والى أساليبه أيضاً. وكانت النتيجة هى محاكمات أهل الفكر فى موسكو ولينينجراد وفى أوكرانيا والتدخل المسلح فى تشيكوسلوفاكيا. فهذا " النوع الانتقالى " هو الآن " اباراتشيك ستالينى " من الناحية الأيديولوجية وان كان " جماعياً " فى مناهج حكمـــه .

ومع ان " الاباراتشيك " شيوعى، فان معرفتـه بتاريخ النظرية الشيوعية محدودة جداً. فقد درس الماركسية ــ اللينينية فى الكتب التعليمية أكثر مما درسها فى المراجع الأصلية. وإذا كان قد تصادف ان قرأ بعض الفقرات من الأعمال الماركسية الأصلية، فقد فعل ذلك على طريقة المؤمن الذى يقرأ نصوصاً من الكتاب المقدس، واقعاً تحت تأثير الايحاء ولكنه لا يستوعب جوهر المعانى. ولذلك فمع أنه يدعو الى الديالكتية (التحليل المنطقى) فأنه ليس الا مستبداً برأيه حتى قمة رأسه. وهكذا فمع ان مستواه الفكرى بدائى الى أقصى حد (وأفضل الأمثلة على ذلك خروشتشوف وبريجنيف وفيلسوفهم الأول نفسه سوسلوف). هذا " الاباراتشيك " لم يدرس سوى فناً واحداً اتقنه إتقاناً تاماً، الا وهو فن السيطرة على الشعب والدولة والحزب .

" والاباراتشى " ينتمى بطبيعة الحال الى نخبة الحزب . ويتدرج مسارة غالباً وفقاً للنموذج التالى : يبدأ بعشرة سنوات من الدراسة الأولية والثانوية، وفى خلال ذلك يلتحق بالكومسومول (منظمة الشبيبة الشيوعية). وعندما يؤهل كمهندس أو زراعى أو معلم . . . الخ يشرع فى اظهار إهتمامـــه باتجـــاه شخص جديد وأحسن مستقبلا فى نطاق الحزب. وبعد قليل يصبح سكرتيراً لاحدى منظمات الحزب الأولية، ثم بعد ذلك عضو فى احدى لجان الحزب على مستوى المدينة أو الناحية. وبعد أربعة أو خمسة سنوات يتفرغ للعمل الحزبى فى المدينة أو الناحية تفرغا تاماً. وبعد خمس أو ست سنوات أخرى يبعث به الى

المعهد الحزبى التابع للجنة المركزية لمدة تتراوح بين سنتين الى أربعة سنوات. وبعد ذلك يعتبر " عاملا منتخباً " للجنة المركزية للحزب(٤) بغض النظر عن التنظيم الذى يعمل فيه.

والمعيارين الأساسيين اللذين يتحكمان فى عمليات الانتقال من مرتبة الى أعلى منها هما التكريس والمقدرة السياسية. وإذا تساوى هذان العنصران عند الجميع تعطى الأفضلية لذوى الشخصية القوية الارادة القادرين على قيادة الأخرين. والتضحية الشخصية التى يقدمها " الاباراتشيك " (المنظم الحزبى) تضحية بالغة حد الجسامة. فعلية ان يعمل يومياً ما يقرب من ستة عشر ساعة، وينتهى به الأمر كذلك الى أنه فى الحقيقة لا يتمتع بحياة خاصة على الاطلاق (أثبت الاحصاء ان الوفاة فى سن مبكرة شائعة بين " الاباراتشيكى " فى الحزب أكثر منها بين المسؤولين السوفييت الآخرين بسبب الارهاق فى العمل).

وفى الواقع كوّن هؤلاء " الاباراتشيكى " فى الحزب طبقة إجتماعية جديدة. فبينما كان " الكويتشيك " اللينينى ممثلا للبروليتاريا وكان الحزب نفسه حزباً بروليتاريا بالأغلب، فان اباراتشيك الحزب الستالينى مثل طبقة جديدة من البيروقراطيين والانتيليجنتسيا داخل الحزب الذى كان بالأغلب حزباً للبيروقراطيين والمثقفين. لقد كانت لجان الحزب فى زمن لينين سواء قبل أو بعد الثورة تضم تسعة أعشار أعضائها من العمال وعشراً واحداً للمثقفين. أما فى زمن ستالين فقد كانت بالعكس تماماً ولم يكن فى أجهزة الحزب بروليتاريا واحداً، كما هو اليوم، لسبب بسيط هو انه كان يتحتم ان يحصل العضو بخلاف بطاقة عضويته فى الحزب على شهادة جامعية حتى يتسنى له المشاركة فى لجان الحزب وأجهزته المختلفة. وفى زمن لينين كان يكفى تقرير العمل العادى. لقد سمى لينين الحزب البلشفى بطليعة البروليتاريا، وترتيباً على ذلك علق أهمية زائدة على ان يكون نصيب العمال من عضوية الحزب نصيب كبير. وقال لينين ان كل عضو من الانتيليجنتسيا يدخل الحزب يجب ان يقبل فى مقابلة بضع مئات من العمال. وكان لينين هو الذى اقترح القرار الذى اتخذه المؤتمر الثامن للحزب فى عام ١٩١٩ بزيادة تجنيد العمال والفلاحين فى الحزب وان يكون قبول الموظفين والاداريين بالانتقاء الحذر(٥). ولقد ابتعد ستالين عن هذا المبدأ ابتعاداً تاماً. وكان على حق فى ذلك. فعندما ثبت أنه من غير الممكن تحقيق

---

(٤) أنظر ك. أ. كريلوف، "حماية الحزب والمراكز المميزة فى المجتمع السوفييتى"، بوليتين، ١٩٦٦، رقم ٣.

(٥) الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى من التوصيات والقرارات لمؤتمراته واجتماعاته والاجتماعات الموسعة للجنته المركزية، ١٨٩٨–١٩٥٤، الطبعة السابعة، الجزء الأول ١٨٩٨–١٩٢٤، موسكو ١٩٥٤، صفة ٤٤١.

تلك الفكرة الوهمية عن بناء الاشتراكية فى روسيا، قرر ستالين ان يوجد شيئاً أكثر واقعية وثباتاً، وهى دولة قائمة على المذهب الجماعى الى أقصى درجة. وهكذا انشىء نظام بيروقراطى لم يسبق له مثيل فى التاريخ. وهو النظام الذى كانت شؤون الادارة وكذلك السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر بل والمشاعر أيضاً يوجهها حزب موجود فى كل مكان. ولقد تطلب ذلك بالتالى تحويل حزب الاشتراكيين الخياليين الى حزب البيروقراطيين، حزب من المتمرسين فى حسن استخدام السلطة.

وحيث ان الحزب لم يعد له علاقة بحزب "البروليتاريا والطباخين" اللينينى، فقد عمد ستالين فى مؤتمر الحزب الثامن عشر فى عام ١٩٣٩ الى الغاء جميع القيود التى كان لينين قد فرضها على قبول الموظفين والمثقفين فى عضوية الحزب. ونتيجة لذلك تغير التركيب الاجتماعى للحزب تغييراً جذرياً.

وأصبح ما كان حزب الطبقة العاملة ليس فقط حزب البيروقراطية بل حزب البيروقراطية "السياسية". وأصبحت أولوية الحصول على عضوية الحزب لا تعطى "للبروليتاريا العاملين فى المكاتب" (وهم الموظفين والفنيين والكتابيين)، بل تعطى للموظفين المتعلمين الذين يتولون مراكز المسؤولية. والجدول الآتى يعكس هذه الحالة بوضوح:

أعضاء الحزب والمرشحين للعضوية من الحاصلين على تعليم عالى والذين لم يتموا التعليم العالى والحاصلين على تعليم ثانوى فى عامى ١٩٢٧ و ١٩٦٧

(أعطيت النسبة المئوية بين قوسين)

	١٩٢٧		١٩٦٧	
مجموع أعضاء الحزب والمرشحين للعضوية.....	١ ٢١٢ ٥٠٥		١٢ ٦٨٤ ١٣٣	
عدد الحاصلين على تعليم عالى.....	٩ ٦١٤	(٠,٨)	٢ ٠٩٧ ٠٥٥	(١٦,٥)
عدد الذين لم يتموا التعليم العالى.....	١٠٤ ٧١٤	(٨,٦)	٣٢٥ ٩٨٥	(٢,٦)
عدد الحاصلين على تعليم ثانوى.....			٣ ٩٩٣ ١١٩	(٣١,٥)

المصدر "بارتينايازيزن"، ١٩٦٧، رقم ١٩، صفحة ١٤.

وهكذا فان المثقفين قد بلغ عددهم فى عام ١٩٦٧ ما نسبته ٥٠,٦٪ من مجموع المنضمين للحزب فى حين ان نسبتهم فى عام ١٩٢٧ ٩,٤٪ فقط. وفى عام ١٩٦٧ بلغ عدد الحاصلين على تعليم عالى أكثر من مليونين، أى ما يقرب من أربعة أضعاف مجموع المنضمين للحزب فى عهد لينين (فى عام ١٩٢٣).

وأدى ذلك النمو الهائل فى حجم الحزب مع الزيادة الكبير فى عدد البيروقراطيين والمثقفين فيه الى تقسيم الحزب الى قسمين هما:

النخبة أو "الاكتيف"، (العاملون) وكتلة المنتمين للحزب الذين لا نشاط لهم أو "الباسيف" (غير العاملين)، وهؤلاء "الأكتيف" يكونون مؤسسة معترف بها رسمياً فى قوانين الحزب(٦). وهم بدورهم ينقسمون تبعاً للتكوين الداخلى للحزب الى مستويات مختلفة. فهناك مستوى الحى ومستوى المدينة ومستوى الناحية ومستوى المحافظة ثم مستوى الجمهورية. أما على مستوى الاتحاد السوفييتى فان اختصاصاتها تقوم بها اللجنة المركزية. ويلتقى "الاكتيف" مع أعضاء اللجنة المركزية ومع أعضاء سكرتيرية الحزب فى لقاءات دورية لكى يحصلوا على المعلومات والتوجيهات عن سياسات الحزب الداخلية والخارجية، وتكون هذه اللقاءات خاصة بهم ولا يسمح للأعضاء العاديين بحضورها.

وفى عام ١٩٦٨ كان تركيب "الاكتيف" أو بعبارة أخرى "هيئة اللجان" كما يلى:

أعضاء المكاتب واللجان والسكرتيرين والسكرتيرين المساعدين لمنظمات الحزب الأولية بلغ عددهم ٢ ٦٥٠ ٠٠٠ (السكرتيريين وحدهم يبلغ عددهم ٣٦٠ ٠٠٠).

أعضاء لجان الأحياء والمدن ومأموريات المحاسبة بلغ عددهم ٣٢٥ ٠٠٠.

أعضاء لجان النواحى والمحافظات واللجان المركزية الجمهورية ومأموريات المحاسبة بلغ عددهم ٢٥ ٠٠٠.

ثم الأعضاء المرشحين لعضوية اللجنة المركزية للحزب ومأمورية المحاسبة المركزية للحزب بلغ عددهم ٤٣٩(٧).

والسلطة فى الاتحاد السوفييتى وراثية، ولكنها ليست وراثية بالمعنى العادى للكلمة إذ ان الورثة هنا هم الأعضاء الصغار فى الحزب. بمعنى ان أشخاص معينين من هؤلاء الأعضاء الصغار الذين يشغلون الآن مراكز على المستويات الأولوية والثانوية فى "هيئة اللجان" سوف يتولون قيادة الحزب والدولة عند أواخر السبعينات. وبينما كان أباؤهم فى الأصل عمالا وفلاحين وبحكم الظروف موظفين، فأنهم سوف يكونوا موظفين أصلا ومرجعاً. وهذا فى "دولة كل الشعب" و"دولة العمال والفلاحين".

وفى داخل "هيئة اللجان" توجد طليعة تتكون أولا من "فريق السكرتيرين"، وثانياً من "جهاز" الحزب. ويمكن تقدير حجم "فريق السكرتيريين" بسهولة من احصاء عدد لجان الحزب. ففى عام ١٩٦٨ كان "فريق السكرتيريين" يتكون من ٩٤٥٩

---

(٦) قوانين الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى [التى وافق عليها المؤتمر الثانى والعشرين للحزب فى ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١] موسكو، ١٩٦٢، الموضوع رقم ٣٠، صفحة ١٨.

(٧) الكتاب السنوى للموسوعة السوفييتية الكبرى لعام ١٩٦٨، موسكو، صفحة ٣٤.

سكرتيراً للجان الأحياء، ٢ ٢٤١ سكرتيراً للجان المدن، ٧٤٥ سكرتيراً للجان النواحى والمحافظات، و ٧٠ سكرتيراً للجان المركزية للجمهوريات الاتحادية، و ١١ سكرتيراً للجنة المركزية للحزب للاتحاد السوفييتى.

وفى الواقع فان هؤلاء الـ ١٢ ٥٢٦ سكرتيراً هم الذين يحكمون الحزب والدولة. وهم يقومون بهذا عن طريق "جهاز" الحزب الصغير ولكنه يتمتع بقدر كبير من الكفاءة. وعدد الموظفين المتفرغين فى "جهاز" الحزب سر تحتفظ به اللجنة المركزية. ولم تنشر أى معلومات عنه منذ أوائل الثلاثينات. ولكن تقديراً تقريبياً يمكن استخلاصه مما صرح به كازانيتس سكرتير اللجنة المركزية الأوكرانية الذى قرر أمام المؤتمر الثانى والعشرين للحزب أنه كان فى أوكرانيا ٥٥ ٠٠٠ من عمال الحزب الخارجين على الهيئة، أو ما يبلغ عددهم أربعة أضعاف عدد العمال المتفرغين(٨). وفى كلمات أخرى ان عدد موظفى الحزب المتفرغين فى أوكرانيا فى عام ١٩٦١ كان بالتقرب ١٤ ٠٠٠ موظفاً من بين ١ ٥٨٠ ٠٠٠ هم مجموع أعضاء الحزب فى أوكرانيا(٩).

وإذا أخذنا الحالة فى أوكرانيا مقياساً للحالة فى الاتحاد السوفييتى بأجمعه، فاننا يمكننا ان نستخلص من ذلك ان عدد موظفى الحزب المتفرغين العاملين بالأجر يبلغ ١٣٠ ٠٠٠ تقريباً (من بين ١٣ ١٨٠ ٠٠٠ عضو بالحزب فى أول يناير "كانون الثانى" ١٩٦٨). ويجب ان نضيف الى عددهم هذا عدد المرشحين لشغل وظائف فى الحزب من أعضائه فى عام ١٩٦١ وهو ٢٣٠ ٠٠٠(١٠). وهكذا فان عدد أعضاء "جهاز" الحزب أو "الاباراتشيكى" الذين يتقاضون أجوراً والذين لا يتقاضون أجوراً يبلغ فى مجموعهما ما يتراوح من ٣٦٠ ٠٠٠ الى ٤٠٠ ٠٠٠.

ان "اباراتشيك" الحزب الذى ينتمى الى الجيل الثالث يشغل الآن مكاناً فى "هيئة اللجان" كسكرتير أو عضو بلجنة مركزية للحزب على المستوى الاقليمى. وسوف يصبح بالتعليم اخصائياً، وبظروف المهنة بيروقراطياً حزبياً، وكذلك متخرجاً من احدى معاهد الحزب العليا. وسوف تكون ثقافته السياسية والمهنية فى الحقيقة مطابقة لثقافة "الاباراتشيك" الستالينى الذى سبقه. ولكن من المحتمل ان يترك الجو العام المحيط به (وبتدرجه فى وظائف الحزب) أثراً عليه. وهناك أسباب للاعتقاد بأنه سوف يكون متحرراً

---

(٨) المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى، ١٧–٣١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١: التقرير الاختزالى، الجزء ٣، موسكو، ١٩٦٢، ص ٤٩.

(٩) الكتاب السنوى للموسوعة السوفييتية الكبرى لعام ١٩٦٢، موسكو، ص ١٨٠.

(١٠) المرجع السابق، ص ٢٤.

من بعض الاغلال العقائدية التى كبلت الجيل الستالينى وكذلك من الشيزوفرينيا السياسية لخلفاء خروتشيتشوف. وتحت تأثير ظروف الدموقراطية النسبية التى تحققت فى داخل الحزب، وباعتبار أنه لم يقع تحت جرائم ستالين، ونظراً لأنه سوف يكون واقعاً تحت التأثير المستمر للأوساط العلمية والانتيليجنتسيا المبتكرة التى تتمتع بالتفكير الانسانى، فان هذا الجيل الثالث من " الاباراتشيك " ربما يبرهن على أنه سوف يكون " رجل دولة " أكثر من ان يكون " بيروقراطيا عقائدياً ". وبرغم أنه لا توجد أسباب للظن بأنه يرفض مبادىء الدكتاتورية، فانه سوف يرفض كثيراً من المبادىء الاقتصادية العقيمة التى لا معنى لها والتى تقف اليوم حائلا دون تطور الاتحاد السوفييتى. فى خلال فترة " السياسة الاقتصادية الجديدة " برهن النظام السوفييتى على انه ليس من الحتمى ان ترتبط سياسة اقتصادية فعالة بالدكتاتورية.

وفى الميدان الاجتماعى، فان الجيل الثالث سوف يكون عليه ان يرتقى الى مستوى الوعد الذى قطعة برنامج الحزب فى عام ١٩٦١ بأن " يتحقق بوجه عام بناء المجتمع الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى " حوالى عام ١٩٨٠(١١). وهناك حاجة واحدة فقط لكى نتذكر المبدأ الأساسى للشيوعية الذى يقول: " من كل حسب قدرته، ولكل حسب حاجته "(١٢). وذلك من أجل ان نقتنع بأن الجيل الثالث سوف لا يذهب فى تحقيق ذلك الهدف اليوتوبى الخيالى أكثر مما استطاع من سبقه. وهذا لا يمنع احتمال ارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعاً مقبولا. ولكن الفارق الاجتماعى بين الحكام والمحكومين سوف لا يتغير حيث ان هناك قانوناً غير مكتوب ولكنه يمثل القاعدة الفولاذية للمجتمع السوفييتى، يقضى بأن يتحدد مستوى معيشة المواطن السوفييتى تحديداً مباشراً بحسب مكانه فى التركيب الاجتماعى الكهنوتى بوجه عام ثم بالنسبة لموضعه من مراكز السلطة بوجه خاص.

وسوف يبقى الجيل الثالث على الولاء لاسلافه من وجهة واحدة، الا وهن بنوع التحديد المحافظة على نظام الحزب الواحد وهذا لا تدل عليه عبرة التاريخ وحدها، ولكن يشير إليه كذلك كل ما تلقاه الجيل الثالث من تربية وتعليم. وهو ما قام على المبدأ الذى تضمنه برنامج الحزب لعام ١٩٦١ والذى يقول بأن الحزب سوف لا يستمر فى بقائه فى ظل الشيوعية فقط (وهذا ما كان كل لينن وستالين قد انكراه) بل أنه سوف يقوم بدور عالمى أكبر مما يقوم به الآن(١٣)، ولكن هذا المبدأ على أى حال قد يؤدى الى تغيير

---

(١١) برنامج الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى [الذى وافق عليه المؤتمر الثانى والعشرين للحزب فى ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١] موسكو، ١٩٦١، ص ٦٢.

(١٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

(١٣) المرجع السابق، ص ١٢٣.

فى مراكز السلطة كأن يضطر "الاباراتشيكى" تحت ضغط الظروف الى ان يشاركهم مجموعات أخرى فى الحزب السلطة ــ ونقصد هنا جنرالات القوات المسلحة وكبار موظفى الحكومة وكبار موظفى الجهاز الاقتصادى والعلماء والمسؤولين فى نقابات العمال والانتيليجنتسيا المبتكرة. وحيث ان قسماً كبيراً من نخبة المثقفين فى الاتحاد السوفييتى ينتمون الى الحزب، فان مثل هذا التغيير فى السلطة سوف يعنى نصراً للعناصر التقدمية على العناصر المحافظة. وقد تعنى كذلك عودة الحزب الى ممارسة سيادته على جهازه التنظيمى، على الأقل الى الدرجة التى كان عليها فى عهد لينين. وهذا لن يحتاج الى ثورة داخلية أو حتى الى حركة اصلاحية، ولن يكون أكثر من وضع المبادىء التى ارستها قوانين الحزب موضع التنفيذ (وهى المبادىء التى لا تزيد حالياً عن ان تكون ثرثرة فارغة)، وبمعنى آخر فان ذلك سوف يعنى العودة الى ديموقراطية الحزب الحقيقية وحرية النقد وانتخابات الحزب العلنية.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن، هو إمكانية وقوع مثل هذا التطور؟

والإجابة بإختصار هى: لا إمكانية. فان "اباراتشيكى" الحزب فى السبعينات سوف يدافعون عن تفردهم بالسلطة مثلما فعل أسلافهم الستالين. ومع ذلك فان الجو العام فى البلاد مع نمو قوى المجموعات المختلفة فى داخل الحزب قد يواجه القيادة العليا بالاختيار بين ستالين جديد أو تحقيق المبادىء الديموقراطية فى الحزب بأكمله، وهى الديموقراطية التى تمارس الآن على أعلى مستوى فى الحزب فقط، أى فى البوليتبيرو (المكتب السياسى للحزب). وسوف يكون اتجاه " الاباراتشيكى " نحو الحل الأول (أى ستالين جديد). أما المجموعات الأخرى فسوف يكون سعيها لتحقيق الحل الثانى. وأنه لمن الصعب ان يتنبأ المرء بنتيجة مثل هذا الصراع. وعندما نحاول ان نتكهن بمجرى الأحداث داخل الحزب، فان المرء لا يجب ان يستهين بتأثيرها على المجتمع السوفييتى بأكمله. ان عدد المثقفين السوفييت يبلغ ٢٨٨٠٠٠٠٠٠ منهم ٦٥٠٠٠٠٠ فقط أعضاء فى الحزب. ومثل هذا المجتمع لا يمكن ان يبقى الى الأبد تحت الوصاية الفكرية والثقافية لمجموعة من مشوشى التفكير. فى النهاية سوف يكون المطلب العزيز على كل فرد عاقل هو الحرية الفكرية والثقافية. ومن المحتمل ان يصبح الصراع بين المجتمع السوفييتى الذى يطالب بحرية الفكر فى جانب، و " جهاز" الحزب الذى يرفض منحها فى الجانب الآخر، واحداً من أهم الصراعات فى السبعينات. وهذا الصراع لا يمكن الحيلولة دون وقوعه بواسطة الاجراءات البيروقراطية أو " بأجهزة القمع الادارى ".

ودعنا الآن نحاول التنبوء بالسياسة الخارجية التى سيسير عليها الجيل الثالث من البلاشفة. وهنا قد يمكن الاشارة الى النظرية القائلة بأن التطورات فى الاتحاد السوفييتى سوف تتميز " بذبول الأيديولوجية " و " التقارب مع العالم الغربى " . وهذه النظرية تتجاهل التحدى النووى السوفييتى. فبرغم ما قد يوجد من منطق كثير فيها إذا نظرنا إليها من خلال ما وصلت اليه "الثورة العلمية والتكنولوجية"، فأنها لم تؤسس على الشيوعية كما هى فى الحقيقة ولكن على الشيوعية كما تبدو به لغرض الوصول الى غاياتها. وكذلك فان هذه النظرية تستند على " الليبرمانية " العلمية فى الاقتصاد السوفييتى ونظرية " التعايش " فى السياسة الخارجية السوفييتية . ولكن حتى بالنسبة لليبرمان، فان الاقتصاديات السوفييتية تقوم على أساس ملكية الدولة الكاملة للعقارات، وخطة الاقتصاد الحكومى، و" الفائدة الاشتراكية ". ويعمل " المصلحون " الاقتصاديون السوفييت فى اطار تفرد الدولة بملكية وسائل الانتاج والتوزيع والتحريم المطلق للمشروعات الخاصة. وبالنسبة للحزب، فأنه إذا تنحى عن تفرده بالسلطة الاقتصادية فان ذلك يعنى تنحية كذلك عن تفرده بالسلطة السياسية. وطبقاً لذلك فان النظريين السوفييت يرفضون فكرة "التقارب" باعتبارها فكرة "يوتوبية مضادة للثورة" وفى صالح " المخربين الأيديولوجيين " الغربيين . وهم على حق فى هذا الى درجة كبيرة. فان التماثل فى " الثورة والتكنولوجية " بين الشرق والغرب لا يمكن ان يؤدى الى تقارب بسبب عدم التماثل الجوهرى بين النظامين الاجتماعين السياسيين.

أما فيما يتعلق " بالتعايش " فان البوادر كذلك غير مشجعة. فأنه من أهم الأمور فى هذا الشأن تلك الحقيقة ان المشكلة بالنسبة للاتحاد السوفييتى قد بدأت بالفعل تتغير من ميدان الصراع بين النظامين العالمين، الرأسمالية والشيوعية، الى ميدان العلاقات فى داخل الكتلة الشيوعية نفسها (أى مع الصين وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغوسلافيا). وهذا أمر لم يبشر به أنبياء الشيوعية أبداً قد صار ممكناً وربما لا مناص منه الا وهو حروب ذات طابع امبريالى وأيديولوجى بين الدول الشيوعية. ويصعب على المرء ان يتوقع ان " تتعايش " الأنظمة الشيوعية مع الحكومات الديموقراطية ما دامت لا تقدر على ان تفعل ذلك فيما بينها أنفسها. وزيادة على ذلك، فأن موسكو لم تتكتم أبداً حقيقة ان " التعايش " فى نظرها ليس هدفاً نهائياً بأى حال من الأحوال، ولكنه وسيلة لاستجلاب الغرب من أجل حسم المنافسة بين النظامين العالمين عن طريق الثورة دون المخاطرة بتبادل حرب نووية وانتحارية.

فهل السياسة السوفييتية فى السبعينات سوف تتأثر بوجود أشخاص جدد وزمن جديد وظروف جديدة بحيث يصبح " التعايش " هدفاً أكثر منه وسيلة ؟ وإذا حدث، ذلك، فاننا سوف نتعامل بكل تأكيد مع جيل جديد متحرر من البلاشفة. ولكن الاعتماد على هذا الأمل فى تخطيط سياسة، سوف يكون أكثر من ان يوصف بأنه مخاطرة. فالوضع الفعلى هو ان سياسة الحزب الخارجية قد تقررت مسبقاً، حتى عام ١٩٨٠ على الأقل، فى برنامج الحزب الحالى، الذى يعتبر بالنسبة للجيل الثالث أيضاً "انجيلا مقدساً". ومن بعض أسس هذه السياسة ما يلى:

(أ) ان جميع الشعوب سوف تبدأ عاجلا أو آجلا فى السير على طريق " الثورة الاشتراكية واقامة دكتاتورية البروليتاريا "(١٤).

(ب) ان الحقبة الحالية هى حقبة الصراع بين النظامين المتعارضين، وهى حقبة انتصار الاشتراكية والشيوعية على نطاق يشمل العالم(١٥).

(ج) ان بناء الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى واجب دولى عظيم للشعب السوفييتى(١٦).

(د) ان الدول الشيوعية فى أوروبا وآسيا هى النموذج الأصلى للمجتمع الجديد، ولمستقبل الانسانية جميعها(١٧).

(هـ) ان الحزب سوف يستمر فى توجيه جهوده نحو تقوية وحدة وتضامن جيش الشيوعيين العظيم فى جميع البلدان(١٨).

ويستمر برنامج الحزب مسترسلا بمثل ذلك.

وهكذا كما رأينا فأنه من الصعب أن نفترض ان قوماً قد تربوا على مثل هذه الأفكار سوف يفكرون ويزنون الامور ويتصرفون بطريقة تختلف عن ذلك. وليس هذا فقط، فهناك أساس للافتراض بأن شيوعى الجيل الثالث سوف يكون نوعاً من التركيبات يحتوى على الثورى العالمى اللينينى والستالينى المتعصب المتعطش للسلطة الذى قد يكون أى شىء سوى ان يكون " بلا أيديولوجية ". وزيادة على ذلك فان الأيديولوجية فى الاتحاد السوفييتى لها وجهين، وجه مثالى وآخر مادى. والأول يتكون من مجموعة من الأفكار التى تشكل مظهراً عالمياً معيناً، والآخر لطراز جديد من الحكم هو " بيروقراطية الحزب". ان الأيديولوجية السوفييتية لا تستند الى ماركس ولينين فقط، ولكن تستند أيضاً الى الحزب

---

(١٤) المرجع السابق، صفحات ١٨، ٢٠.
(١٥) المرجع السابق، ص ٧.
(١٦) المرجع السابق، صفحات ٧–٨.
(١٧) المرجع السابق، ص ٢٥.
(١٨) المرجع السابق، ص ٤٢.

والبوليس السرى والرقابة ومعسكرات الاعتقال والمزارع الجماعية، وباختصار دكتاتورية الحزب الواحد. وإذا حدث يوماً ان ابتعد الكرملين عن ماركس ولينين كما حدث ان ابتعد ستالين (ولولفترة) فان ذلك لن يؤدى بأى حال من الأحوال الى الأعراض عن الوجه الآخر المادى للأيديولوجية السوفييتية. ويبدو ان ميلوفان ديلاس الشيوعى اليوغوسلافى السابق كان أكثر عناداً فى الرأى حينما كتب فى مجلة " نيويورك تايمز ماجازين " ان " الايديولوجية الماركسية اللينينية فى الاتحاد السوفييتى سوف تكون فى عام ١٩٨٤ أيديولوجية ميتة، والحزب أما ان يكون قد زال من الوجود او صار خراباً. فجهاز الحزب والبوليس السرى سوف يكونان تحت سيطرة الجيش "(١٩). واليوم، بعد سبعة عشرة عام من وفاة ستالين، فان أيديولوجية الحزب لا زالت جوهرياً هى نفس أيديولوجيته عندما كان حياً. وكل ما حدث هو ان النظام قد اتخذ لنفسه صورة تتلاءم مع الظروف الجديدة. وأغلب الظن ان الحال سوف تتغير خلال الخمسة عشرة أعوام القادمة بحدوث انقلاب عسكرى أو سياسى.

ان أيديولوجية الثورة العالمية لا تتناقض مع مصالح الاتحاد السوفييتى كقوة عظمى فى شىء، بل هى انها تفيد كاداة ممتازة لتوسيع هذه المصالح. ومن المؤكد ان الاتجاه الخاص الذى ستسلكه السياسة الخارجية للجيل الثالث سوف تقرره القوى والمشاكل التى ستواجه ذلك الجيل فى ميدان التصارع العالمى بالاضافة الى صفاته الذاتية. وفى السبعينات سوف يكون على الاتحاد السوفييتى ان يشهد مواجهة أكثر حدة من ذى قبل فى جبهتين، الجبهة الشيوعية، والجبهة الديموقراطية — وبتحديد أكثر، فى مواجهة الصين من ناحية وفى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى. وللمرة الثانية فى جيل واحد سوف يكون على الولايات المتحدة ان تقوم بدور الحكم فى صراع الحياة والموت بين الأنظمة الدكتاتورية. فبعد ان قامت بهذا الدور بين الدكتاتوريتين الشيوعية والفاشية فى الاتحاد السوفييتى وألمانيا، سوف يأتى الوقت لتقوم به مرة أخرى بين الدكتاتوريتين الشيوعيتين فى الاتحاد السوفييتى والصين. وفى الواقعة الأولى إختارت الولايات المتحدة اخف الشرين. ولكن من يستطيع فى الظروف الحالية ان يحدد أخف الشرين؟ ومع ان الصين قد أعلنت سياستها بأنها الصراع " فى جبهتين" ضد " الامبريالية الأمريكية " و " الرجعية السوفييتية "، فالصين تعتبر القيادة الحالية فى الاتحاد السوفييتى العدو الأول. وهذا مما لا يستعصى على الفهم، حيث أنه بينما الحرب بين الاتحاد السوفييتى والصين،

---

(١٩) النيويورك تايمز ماجازين، ٢٣ مارس (آذار) ١٩٦٩، ص ١٣٥.

بسبب النزاع على الأقاليم الصينية السابقة التى استولت عليها روسيا القيصرية، أمراً ممكناً بل محتماً، فأنه لا توجد مثل هذه النزاعات بين الولايات المتحدة والصين. وعند نهاية السبعينات سوف يكون لدى الصين من القوة النووية والصاروخية ما يسمح لها بان تبدأ حرب فى الشرق الاقصى بالأسلحة التقليدية دون ان تخشى ضربة نووية من الاتحاد السوفييتى. وفى هذه الظروف، سوف يكون من المحتمل ان تتكرر قصة مماثلة لقصة الحرب الروسية اليابانية فى ١٩٠٤–١٩٠٥. وهنا يعود الى الأذهان ان هزيمة روسيا فى تلك الحرب هى التى أطلقت عنان القوى الثورية فى روسيا وأرغمت القيصر على اصدار المنشور الليبرالى فى ١٧ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠٥. وأمام الاحساس بامكانية وقوع مثل هذه الحرب، فان الكرملين قد يسعى الى تحالف على حساب الصين، خوفاً على مناطق نفوذه فى المحيط الهادى وجنوب شرقى آسيا.

وهناك أربعة مشكلات أخرى سوف يواجهها الاتحاد السوفييتى فى السبعينات، الا وهى الرغبة المتزايدة فى الاستقلال بين الدول الشيوعية فى أوروبا الشرقية. والنزاع مع بكين على زعامة حركة الشيوعية العالمية. والتسابق مع الغرب على النفوذ السياسى فى دول " العالم الثالث " (وخصوصاً المشرق العربى) وعلى النفوذ الاستراتيجى فى البحار المجاورة. ثم مشكلة ألمانيا.

وتحتل مشكلة ألمانيا مكاناً ذا أهمية خاصة فى السياسة الطويلة المدى للكرملين. فعلى العكس من الحكومات الغربية التى تختلف سياساتها من انتخابات وطنية الى أخرى، تخطط موسكو سياستها مسبقاً ولأمد طويل. ويعتقد القادة السوفييت ان أمريكا التى تقع على مسافة بعيدة وانجلترا المحدودة الامكانيات سوف تتركان ألمانيا فى النهاية مخلفتين وراءهما قوة رمزية، أو على أية حال سوف تفشل فى الدفاع عن ألمانيا وخصوصاً برلين، خوفاً من وقوع حرب نووية. وحينما يحدث ذلك، سوف تقوم " فرق متطوعين " من شيوعى ألمانيا الشرقية تدعمهم "كتائب دولية" يترأسها رفاقهم السوفييت بالزحف على ألمانيا الغربية تحت الشعار المعروف " إعادة توحيد ألمانيا ". وإذا استطاع " جيش ألمانيا الغربية " ان يثبت تفوقه على هؤلاء " المتطوعين "، فسوف يخف الاتحاد السوفييتى لنجدتهم. وفيما يختص بذلك، فان الاتحاد السوفييتى — ببعد نظر — قد أعلن بالفعل عن حقه فى التدخل فى ألمانيا عملا بالمادة الخاصة " بالدول العدوانية " من ميثاق الأمم المتحدة . وليس هناك أدنى شك فى ان الاتحاد السوفييتى ما وقع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية مع الولايات المتحدة الا لكى يزيل مثل هذا المانع الوحيد من

طريق سياسته الخاصة " باعادة توحيد ألمانيا " أى لكى يحول دون حصول ألمانيا الغربية على أسلحة ذرية. هذا والشباب فى الاتحاد السوفييتى يربون على كراهية ألمانيا الغربية بدعوى انها دولة " العسكريين الذين يأخذون بالثأر" و " دولة النازية الجديدة " . وهذا يساعد على خلق أسباب سيكلوجية للخصومة تبرر سياستها لاعادة توحيد ألمانيا تحت علم الشيوعية. وتدرك موسكو ادراكاً تاماً أنه إذا حدث ان ظهر فى يوم من الأيام فى المستقبل هتلر جديد فى ألمانيا، فان ذلك لن يكون له من سبب سوى سياستهم للابقاء على البلاد مقسمة.

هناك خطأ أساسى فى " نظرية الارتقاء " فيما يختص بالاتحاد السوفييتى. وهذا الخطأ هو ان تلك النظرية ترى البلشفية بمقاييس المنطق وحساب المنفعة. والغرب كثيراً ما ينسب الى البلشفية صفات لا تملكها، ومقاصد هى لا تسعى فى سبيلها. وكثيراً ما يعزو الغرب أفعالا لا تتفق مع متطلبات العقل الى البلشفية. وتحدث فترات صحو وتنور قصيرة كلما خطت موسكو خطوة " لا منطقية " (من وجهة نظر الغرب) أخرى، وذلك مثلاً كمغامرة الصواريخ فى كوبا أو التدخل فى تشيكوسلوفاكيا. ومن المؤكد ان الغرب لا يرى الطبيعة الحقيقية للبلشفية الا فى تلك الفترات القصيرة .

والقول بأن القادة الحاليين للبلشفية يعملون عن قصد وبطريقة مرتبة لاعداد الجيل الثالث لمعركة شاملة حاسمة بين النظامين العالميين قد كشف عنه بوضوح كلام أ. ف. كابيتونوت سكرتير اللجنة المركزية فى اجتماع للمكتب السياسى (البوليتبيرو) عقد فى الكرملين فى ذكرى مرور ٩٩ عام على مولد لينين، فقال :

ذلك موضوع ذو أهمية خاصة للحزب وهو تربية الجيل الذى ينمو الآن الى النضوج وهو الجيل الذى ستلقى على عاتقة مسؤولية استمرار التقاليد الثورية النضالية لآبائه واخوته الكبار ويزيد عليها . . . لقد كان حزبنا، ولا يزال، وفياً وأمينا على تراث لينين — ليفعل " أقصى ما فى إمكان دولة واحدة من أجل تطور وحماية وإيقاظ الثورة فى جميع الدول "(٢٠) .

وكما سبق ان أشرنا، فان استمرار قيادة الكرملين وسياسته العامة سوف يكون مؤكداً فى ظروف انتقال السلطة انتقالا عادياً فقط. وليس هناك ما يمنع إحتمال حدوث أنواع أخرى من التطور السياسى فى الاتحاد السوفييتى خلال السبعينات — وذلك كأن يظهر فى الاتحاد السوفييتى مثلا " دوبتشك " روسى أو " نابليون " روسى او ان تقوم ثورة . ولكن على أى حال، لا يتسع مجال هذه المقالة للتأمل والتعمق فى هذه السطور الأخيرة.

---

(٢٠) برافدا، ٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٩، ص ٢.

قد يبدو ما تقدم من دلالات فى هذه المقالة قاتماً كئيباً بصورة زائدة، ولكن تاريخ البلشفية للأسف لا يدعو للتفاؤل. لقد تكررت المآسى بسبب الاستهانة بالبلشفية وقدراتها وديناميكيتها وليس بسبب المبالغة فى تقييمها. والايمان بتغيير راديكالى للبلشفية سوف يكون مأساة جديدة. وقادة الكرملين أنفسهم مقتنعون بأن الثورة فى الاتحاد السوفييتى أكثر إحتمالا من قبل ذلك التغيير. وفى هذا الشأن نشرت صحيفة "كومونيست"، وهى الصحيفة الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب، الكلمة التالية نقلا عن الماركسى بوتريسوف (الذى ابتدأ صديقاً للينين ثم انتهى عدوا له):

> ان الأمل فى ان البلشفية يمكن ان تتهندم أمل واه لا أساس له. فأنه من صفات البلشفية الذاتية انها لم تسمح لنفسها بأن تتهندم. انها صلبة، يمكن ان تتحطم، ولكنها لا تنثنى(٢١).
>
> والمرء لا يسعه الا ان يوافق على ذلك.

---

(٢١) كومونيست، ١٩٦٧، رقم ١٥، ص ٨٦.

التسابق الصينى السوفييتى
فى آسيا وأفريقيا

بقلم: ستيفان ستوله

ربما تكون عودة العلاقات الدبلوماسية والتجارية الطبيعية بين الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية قد أدت ولو مؤقتاً الى تخفيف حدة التوتر على طول حدودهما المشتركة فى الشرق الأقصى، ولكنه من غير المحتمل ان تؤدى الى وئام تام بينهما، فموسكو وبكين تتنافسان على النفوذ الاقتصادى والسياسى لدى الدول النامية فى آسيا وأفريقيا، ومن المرجح ان تتركز المواجهة السوفييتية فى هذه النقطة.

تحسنت العلاقات الدبلوماسية والتجارية الى حد ما بين الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية خلال الشهور القليلة المنصرمة. وفى منتصف أغسطس (آب) الماضى وصل ل. ف. اليشيف وكيل وزارة الخارجية السوفييتية على رأس وفد حكومته فى المباحثات الصينية السوفييتية بدلا من ف. ف. كوزنيتسوف الذى قيل أنه قد أصابه مرض(١). وبعد شهر أعلن رسمياً ان ف. س. تولستيكوف قد عين لشغل منصب السفير السوفييتى فى بكين(٢)، وفى الوقت نفسه تقريباً اذاعت وكالة تاس نبأ توقيع معاهدة بين الاتحاد السوفييتى والصين فى خاباروفسك بشأن التجارة عبر حدودهما المشتركة فى الشرق الأقصى(٣).

ومن المحتمل ان تعنى هذه الخطوة الاقلال من حدة التوتر القائم على طول الحدود السوفييتية الصينية ولو مؤقتاً. ولكن ليس المحتمل ان تؤدى الى إزالة العداء المستحكم بين موسكو وبكين. وربما يؤدى انحصار موجة هذا التوتر فى الشرق الاقصى الى انتقال ميدان الصراع الى آسيا وافريقيا حيث تحاول القوتان الشيوعيتان الكبريان توسيع نفوذهما الاقتصادى والسياسى.

---

(١) "ايزفستيا"، ١٦ أغسطس (آب)، ١٩٧٠.
(٢) المرجع السابق، ١٧ سبتمبر (أيلول)، ١٩٧٠.
(٣) المرجع السابق، ١٩ سبتمبر (أيلول)، ١٩٧٠.

تتنافس الدولتان كذلك على الأسواق فى أماكن مختلفة من العالم فى حين ان حجم التبادل التجارى الصينى لا يزيد فى مجموعة عن مثيلة فى السويد أو استراليا بالتقريب. كما ان ثلثى التجارة الخارجية السوفييتية يقع فى شكل مقايضة ومع دول الكتلة الشرقية، بينما أخذت الصين منذ ١٩٦٠ تزيد من علاقاتها التجارية مع الدول غير الشيوعية. فى عام ١٩٦٠ بلغت قيمة الصادرات السوفييتية الى الدول غير الشيوعية ١٤٠٠ مليون دولار. وفى نفس العام لم تزد قيمة الصادرات الصينية الى تلك الدول عن ٦٠٠ مليون دولار. ولكننا نرى تغيراً هاماً قد حدث فى هذه الأرقام فى عام ١٩٦٧، فقد بلغت قيمة الصادرات السوفييتية الى الدول غير الشيوعية فى ذلك العام ٣٣٠٠ مليون دولار، بينما ارتفع الرقم الصينى الى ٢٠٠٠ مليون دولار(٤). وبخلاف نجاح الصين فى تقريب الشقة بينها وبين الاتحاد السوفييتى فى التجارة مع الدول غير الشيوعية خلال السنوات العشر الماضية، فان بكين حققت كذلك تفوقاً هاماً على موسكو فى التجارة مع اليابان التى تعد أكبر قوة اقتصادية فى آسيا بلا منازع. وكما يبينه الجدول التالى(٥)، فان الصين قد سجلت تبادلا تجاريا مع اليابان فى عامى ١٩٦٥ و ١٩٦٧ أكبر حجماً مما سجله الاتحاد السوفييتى.

(الأرقام بملايين الدولارات)

	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
صادرات اليابان الى الاتحاد السوفييتى	٦٢	١٧٧	١٦٦	١٨٥	٢٦٩
واردات اليابان من الاتحاد السوفييتى.....	٧٦	١٨٥	٣٥٣	٣٩١	٤٦٢
حجم التبادل التجارى بينهما فى مجموعه.....	١٣٨	٣٦٢	٥١٩	٥٧٦	٧٣١
صادرات اليابان الى الصين الشيوعية	٣	٢٤٥	٢٨٨	٣٢٦	٣٩٠
واردات اليابان من الصين الشيوعية.....	١٩	٢٢٥	٢٧٠	٢٢٤	٢٣٠
حجم التبادل التجارى بينهما فى مجموعه.....	٢٢	٤٧٠	٥٥٨	٥٥٠	٦٢٠

هذا ويتوقع الاقتصاديون اليابانيون ان يظل التزايد فى التبادل التجارى بينهم وبين كل من الصين والاتحاد السوفييتى مستمراً. ويتوقعون كذلك ان يصل مستواه السنوى الى ما قيمته ١٠٠٠ مليون دولار مع كل من البلدين فى وقت قريب جداً. وليس هناك

---

(٤) "التجارة الخارجية لدول أوروبا الشرقية"، ١٩٥٨–١٩٦٨، رقم ٦، بروكسل، ١٩٦٩، ص ٦. و "التجارة الخارجية لجمهورية الصين الشعبية" ١٩٥٨– ١٩٦٨، بروكسل، ١٩٦٩، ص ٦.

(٥) مستقاة من بيانات احتوتها المراجع السابق ذكرها، ومن جريدة "فيلاجازداساج"، بودابست، ٥ مارس (آذار)، ١٢ مايو (أيار)، ١٩٧٠.

ما يدعو الى اعتبار هذه التنبؤات تفاؤلاً فى غير محله. فان قيمة صادرات اليابان الى الصين فى الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٧٠ قد ارتفعت الى ٣٠٧ مليون دولار. ومع ان قيمة وارداتها من الصين لا تبلغ هذا الرقم، فان مجموع حجم التبادل التجارى بين البلدين فى عام ١٩٧٠ ينتظر ان تفوق قيمته ٧٠٠ مليون دولار(٦). ومع هذا فان الاتحاد السوفييتى لا يزال يتمتع بتفوق كبير فى تجارته مع الدول النامية، فقد بلغ حجم التبادل التجارى بين الاتحاد السوفييتى والدول النامية فى عام ١٩٦٩ ما قيمته ٢٨٠٠ دولار(٧)، فى حين ان مثيلة الصينى كان ١٢٠٠ دولار تقريباً(٨).

تتخلف الصين كذلك عن الاتحاد السوفييتى بمسافة كبيرة فى مجال تقديم المعونات الاقتصادية والفنية للدول النامية. وتبين الأرقام التى نشرت أخيراً(٩)، ان مجموع قيمة المعونات التى قدمتها الدول الشيوعية الى الدول النامية بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٨ قد بلغ ٩٢٣٨ مليون دولار، وكان ما قدمه الاتحاد السوفييتى منها ٥٩,٨٪، وما قدمته تشيكوسلوفاكيا ١٢,٢٪، أما ما قدمته الصين فلم يزد عن ٩,٦٪ فقط. ومع ذلك فان ما ساهمت به الصين قد بلغ ما قيمته ٩٠٠ مليون دولار تقريباً، وكان يستخدم فقط لخدمة أغراضها السياسية، وخصوصاً فى باكستان ونيبال وأفغانستان وكمبوديا وسيلان وجمهورية اليمن واليمن الجنوبية وتانزانيا والصومال والكونغو (برازافيل) وغينيا.

ان أكبر المشروعات فى برنامج المساعدات الخارجية الصينية هو مشروع انشاء ١٠٠٠ ميل من السكك الحديدية فى أفريقيا تربط العاصمة التانزانية دار السلام بجمهورية زامبيا. ويعمل فى هذا المشروع ٥٠٠٠ من العمال والفنيين الصينيين، وسوف تبلغ نفقاته ما يتراوح بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليون دولار تقدمها بكين كقرض بدون فوائد يسدد على ٢٥ سنة. وهى تأمل من ذلك ان تكتسب بين الدول النامية سمعة مماثلة للتى اكتسبها الاتحاد السوفييتى بمساعدته مصر على بناء السد العالى عند أسوان.

وتتركز المساعدات الصينية فى آسيا بشكل أساسى على انشاءات الطرق، التى قد تبرهن فيما بعد (كما فى حالة نيبال وباكستان الغربية) ان لها أهمية استراتيجية عظيمة. وبعد عزل الأمير سيهانوك قطعت بكين معونتها لكمبوديا، ولكن الحكومة الصينية وقعت إتفاقاً مع الحكومة الموالية للأمير سيهانوك فى المنفى أغسطس (آب) ١٩٧٠ تعد فيه بتقديم

(٦) "فيلاجازداساج"، ٧ يوليو (تموز)، ١٩٧٠.
(٧) المرجع السابق، ١٧ يوليو (تموز)، ١٩٧٠.
(٨) المرجع السابق، ٢٤ مارس (آذار)، ١٩٧٠.
(٩) "زيوددوتشه تسايتونج"، ميونخ، ٢٩–٣٠ أغسطس (آب)، ١٩٧٠.

الدعم العسكرى " بلا مقابل "(١٠). وتمد الصين فيتنام الشمالية أيضاً بالمساعدات وبالمعدات العسكرية بنوع خاص ولكنها فى هذا المجال يتحتم عليها ان تدخل فى تسابق مع المساعدات الهائلة التى تحصل عليها هانوى من الاتحاد السوفييتى. فمن عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٩ زادت المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى قدمها الاتحاد السوفييتى لفيتنام الشمالية بمقدار أربعة أضعاف، وفى يونيو (حزيران) ١٩٧٠ وقعت إتفاقات جديدة بينهما يقدم الاتحاد السوفييتى بموجبها قروضاً إئتمانية إضافية إلى فيتنام الشمالية خلال عام ١٩٧٠(١١).

وفى الهند يواصل النفوذ الاقتصادى والسياسى والثقافى السوفييتى تزايده المطرد، وفى عام ١٩٦٩ حصلت دول الكتلة الشيوعية على $\frac{1}{5}$ صادرات الهند كلها(١٢). وفى السنوات الأخيرة أصبحت إيران أيضاً هدفاً هاماً، فقد وقعت مع الاتحاد السوفييتى إتفاقية طويلة الأجل زاد حجم التبادل التجارى بين البلدين بمقتضاها الى حوالى الأربعة أضعاف فى خلال السنوات الثلاث الماضية، وأصبح الاتحاد السوفييتى المشترى الأول للبضائع الايرانية. كما ان المعاملات التجارية بين الشركات الايرانية وجاراتها فى الجمهوريات السوفييتية فى القوقاز والتركستان يسير فى طريق الازدهار المطرد(١٣). ومن أهم صور الهجوم الاقتصادى والسياسى السوفييتى فى هذا الجزء من العالم هو إنشاء ٧٠٠ ميل من خطوط الأنابيب لنقل الغاز الطبيعى من منابعه فى جنوب إيران الى الاتحاد السوفييتى سداداً للقروض السوفييتية(١٤).

وكانت أندونيسيا أيضاً، حتى عزل الرئيس سوكارنو فى ١٩٦٥، ميداناً للتنافس الاقتصادى والسياسى بين موسكو وبكين. وبعد فترة السكون الطويلة التى حدثت فى أعقاب تغيير نظام الحكم فى جاكارتا، ، عادت الاتصالات من جديد بين أندونيسياً والاتحاد السوفييتى. وفى أغسطس (آب) ١٩٧٠ وقع الجانبان فى موسكو إتفاقاً من أجل تصفية ديون أندونيسيا للاتحاد السوفييتى المتخلفة من عهد الرئيس سوكارنو، والتى بلغت حوالى ٨٠٠ مليون دولار(١٥). وعبرت موسكو كذلك عن استعدادها لاتمام تركيب آلات وأجهزة مصنع الصلب الذى كان قد توقف العمل عام ١٩٦٥، وكذلك مصنع الأسمدة

---

(١٠) "بكينج روند شاو"، أول سبتمبر (أيلول)، ١٩٧٠، ص ١٥.
(١١) "فنيشنيا يا تورجوفليا"، رقم ٩، ١٩٧٠، ص ٨.
(١٢) "فيلاجازداساج"، ١١ يوليو (تمو)، ١٩٧٠.
(١٣) "فنشنيايا . . ."، رقم ٢، ١٩٧٠، صفحات ٢٠–٢١.
(١٤) المرجع السابق، رقم ٩، ١٩٧٠، صفحات ١٥–١٦.
(١٥) "ايزفستيا"، ٢٧ أغسطس (آب)، ١٩٧٠.

الكيميائية ومحطة للطاقة الذرية. كما عرضت على أندونيسيا استعدادها لتقديم المساعدات اللازمة لانشاء مصانع لاستغلال البوكسيت والزنك(١٦).

وعلى أى حال فان المحاولات السوفييتية والصينية لزيادة نفوذهما لدى الدول النامية من خلال التجارة كثيراً ما يحالفها التوفيق بسبب المنافسة القوية التى تواجهها من القوى الصناعية الغربية واليابان. وهذا يحد الى درجة كبيرة من التسابق الصينى السوفييتى لاقامة جسور يعبرون عليها الى الميادين السياسية والأيديولوجية حيث ينادى كل جانب منهما بأنه الوريث الشرعى لماركس ولينين وأنه صاحب الحق فى زعامة الحركة الشيوعية فى العـــالم.

والموضوع الأساسى الذى يدور بسببه ذلك الشجار بين موسكو وبكين هو الدور الثورى لآسيا والدول النامية، والوسائل التى يمكن ان تحقق الثورة العالمية. فالصينيون يتمسكون بأن آسيا بقيادة الصين سوف تلعب الدور الرئيسى فى هذه الثورة، ويقيمون حججهم على رسالة ماوتسى تونج عن " خلق المعاقل الثورية فى القرية، ومحاصرة المدينة بالقرية " (و" المدينة " هى أوروبا وأمريكا الشمالية و" القرية " هى الدول المتخلفة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية). ولسنين طويلة وبكين تعزف تلك النغمة:

ان الامبريالية لم تقهر بعد، ونضال الشعوب الآسيوية ضد الامبريالية لم ينته. كانت آسيا وستبقى مركز العاصفة للنضال ضد الامبريالية. انَ الصراع بين القوتين المتعارضتين وتقدم وتطور آسيا له تأثيره الحاسم لا على مصير الشعوب الآسيوية فقط ولكن على مصير العالم بأكمله أيضاً(١٧).

يتمسك الشيوعيون الصينيون بحتمية الحروب بما فيها الحرب النووية. وهذه هى النقطة الثانية فى أسباب الخلاف الأيديولوجى الصينى السوفييتى. فالقادة السوفييت يؤمنون ان الاشتراكية العالمية لها الآن من القوة ما يمكنها من تحقيق غاياتها من الصراع الطبقى فى ظروف " التعايش السلمى "، وهذا الاعتقاد تردد فى كثير من الصحف المذهبية للأحزاب الشيوعية فى دول الكتلة السوفييتية:

ان تطور الدول الافروآسيوية ينطوى على حفظ وتفاعل مختلف النظم الاقتصادية لزمن طويل آتى، بما فيها نظام رأسمالية الدولة، ونظام الرأسمالية الصغيرة، بل وفى بعض الحالات الرأسمالية الخاصة المتطورة. تتفاعل هذه النظم جنباً الى جنب مع

---

(١٦) "فيلاجازداساج"، ١٦ سبتمبر (أيلول)، ١٩٧٠.
(١٧) "بيكنج روند شاو"، ٨ مارس (آذار)، ١٩٦٦، ص ١٥.

المحافظة على القيادة السياسية بواسطة الدوائر التقدمية وتقوية دور البروليتاريا وحزبها، مما يمكنه فى ظروف معينة ان يؤسس القاعدة للتحول نحو الاشتراكية. ولكن الاحتفاظ بالنظم الرأسمالية فى مثل تلك الدول، يستتبع حتماً صراعاً طبقياً تقوم به البروليتاريا من أجل تحقيقق أهداف ومبادىء الاشتراكية(١٨).

فموسكو لا تقبل تقدير الموقف فى أفريقيا وآسيا تبعاً لنظرية ماوتسى تونج عن حتمية الحروب. وأوائل عام ١٩٧٠ نشرت برافدا، الجريدة الناطقة الرسمية باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ما يلى:

ان المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى قد أقر بشرعية رسالة ماوتسى تونج التى تؤكد ان الحرب حتمية بل ومرغوبة. فقد أعلن ماو أنه "بقدر ما يخص أمر مسألة الحرب العالمية، فهناك احتمالان اثنان لا بديل لهما. فاما ان تتسبب الحرب فى قيام الثورة، أو ان الثورة سوف تمنع قيام الحرب". وشرحاً لمعنى هذه الصيغة، فان لين بياو (فى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى) ثم الصحافة الصينية أصروا وواصلوا اصرارهم على ربط الثورة بالحرب. فصحيفة "تسى فانج جيباو" مثلا قالت ان الثورة "يجب بلا توقف ان تقود الى الحرب". وطبقاً لهذه المبادىء فأنه لا يكون تجنب الحرب مستحيلا فقط بل يكون السعى لها ضرورياً(١٩).

ان القادة السوفييت على استعداد دائماً لتقديم الدعم الأكيد لحروب التحرير المحلية ضد "الامبريالية" كما هو الحال فى مساعدتهم العسكرية لفيتنام الشمالية، ولكنهم يستنكرون بشدة اثارة "حرب شعبية" بالمفهوم الماوى، خشية ان يكون فى ذلك ما يشين بمكانتهم الفكرية السياسية، وما قد ينقل بقوى التحرر هذه الى خارج مجال النفوذ السوفييتى. ولقد ذكرت برافدا ان:

... فى آسيا، حاول القادة الصينيون لسنين طويلة ولا زالوا يحاولون اسقاط الحكومات التقدمية عن طريق المنازعات الداخلية لعزل الشعوب المشغولة فى معارك التحرير الوطنى عن حلفائها الحقيقين — وهذه الدول هى فى الحقيقة ذات المصالح الاشتراكية المشتركة والحركة العمالية والشيوعية الدولية(٢٠).

---

(١٨) "بروبليمى ميرا اى سوتسياليزما"، رقم ٧، ١٩٧٠، ص ٨٧.
(١٩) "برافدا"، ١٨ مايو (أيار)، ١٩٧٠.
(٢٠) نفس المرجع السابق.

وبالفعل توجد فى بعض البلاد فئات متأثرة بالماوية تحارب ضد القوات الحكومية المسلحة بأسلحة وردها الاتحاد السوفييتى. وتتبادل كل من موسكو وبكين الاتهامات بالسعى للسيطرة على آسيا بل وعلى العالم. وتقول برافدا فى هذا الشأن:

ان أفعال الزعماء الصينين لا تدع مجالا للشك فى أنهم يحاولون استغلال نضال الشعوب البطولى من أجل الحرية فى مكائدهم العالمية، وهم يسترشدون فى ذلك بأوهام الخان الأعظم ان يصبحوا الأباطرة الجدد " للصين العظمى". والتى من أجلها تستهدف آسيا على الأقل، ان لم يكن العالم كله(٢١).

وفى المدة الأخيرة تحمّل الاتحاد السوفييتى انتكاستين خطيرتين فى المواجهة الأيديولوجية والسياسية بينه وبين الصين، وذلك فى الهند الصينية وفى الشرق الأوسط. فعندما بدأت محادثات السلام الفيتنامية فى باريس، أخذ النفوذ السوفييتى فى فيتنام الشمالية وجنوب شرق آسيا فى النمو على حساب الصين، وذلك لأن المحادثات بدت مرجحة لوجهه نظر موسكو الأقل تمسكاً بالعنف وأثارت التشكك حول ماوتسى تونج عن الحرب الثورية العالمية الشاملة. ولكن بعد سقوط الأمير سيهانوك فى مارس (آذار) ١٩٧٠، أخذ المبادأة تتجه نحو الصينيين. ولم تلبث ان تكونت حكومة موالية للأمير سيهانوك فى بكين لم تعترف بها موسكو، ثم فى أبريل (نيسان) ١٩٧٠ عقد مؤتمر لممثلى شعوب الهند الصينية، وأنشئت " الجبهة المتحدة لشعوب الهند الصينية " تحت رعاية الصين(٢٢). وأصدرت هذه المنظمة بياناً أعلنت فيه ان هدفها الرئيسى هو تدعيم النضال التحررى للأمم الثلاثة التى تتألف منها الهند الصينية(٢٣) (فيتنام وكمبوديا ولاوس).

وفى نفس الوقت تقريباً بدأت موسكو تفقد أرضاً أمام الصين بين المنظمات الفدائية الفلسطينية. وبصرف النظر عن بعض الجماعات الراديكالية مثل " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" التى يتزعمها جورج حبش، والتى تشتعل حماساً للآراء الماوية منذ زمن بعيد، فقد بدأت منظمات أخرى لها تأثيرها تسير فى اتجاه بكين. وفى مارس (آذار) ١٩٧٠ سافر وفد رسمى عن " منظمة التحرير الفلسطينية "، التى تضم مجموعات مختلفة من الفدائيين الفلسطينين، سافر الى العاصمة الصينية لاجراء محادثات سياسية. وصرح رئيس ذلك الوفد، ياسر عرفات، فى بكين معلناً:

---

(٢١) نفس المرجع السابق.
(٢٢) "بيكنج روند شاو"، عدد خاص، ١٢ ماير (أيار)، ١٩٧٠.
(٢٣) "نوفويه فريميا"، رقم ١٨، ١٩٧٠، ص ٢.

إننا نحن جماهير الشعب العربى، ثوار ومقاتلون، سوف لا ننسى المجهود الرائع الذى بذله الشعب الصينى العظيم لتأييد شعب بلادنا فى نضاله الذى لا يلين وفى ثورته(٢٤).

ومن الممكن ان تؤدى الزعزعة السياسية بين زعماء العرب، والتى سببتها وفاة الرئيس عبد الناصر الفجائية، الى ان تتجه شخصيات سياسية ومجموعات راديكالية أخرى صوب بكين بدلا من موسكو.

وانه لمن المستحيل فى الوقت الحاضر ان نتنبأ بثقة بمستقبل تطورات النزاع الصينى السوفييتى من أجل النفوذ فى الدول النامية. إذ ان ما يتضح أمامنا من شواهد لا يجزم بأيهما قد ترجح كفته.

---

(٢٤) "بيكنج روند شاو"، ٧ ابريل (نيسان)، ١٩٧٠.

التجارة الداخلية السوفييتية تعكس عيوباً أساسية فى النظام الاقتصادى

بقلم: أندريه ف. بابيتش

يواجه الاقتصاد السوفييتى مصاعب تبدأ بشكل واضح على مستوى تجارة التجزئة. فاذا حدث مثلا ان جاء إنتاج المواد الغذائية ضعيفاً، تشاهد على التو طوابيراً طويلة مصطفة على أبواب متاجر المواد الغذائية. ويحدث ذلك لأن الدولة لا تسمح لمؤسساتها باستيراد ما يوازى العجز من خارج البلاد. كما ان التخطيط السيء سبب من أسباب نقص المواد الغذائية مثلما حدث فى حالة نقص اللحوم التى يعانى منها الاتحاد السوفييتى أشد المعاناة. وكان السبب هو خطأ التوقيت الذى جرى فيه التحول من مزارع تربية الحيوان الصغيرة الى المزارع الكبيرة. فقد صفيت المزارع الصغيرة قبل ان يتم تنظيم المزارع الكبيرة على الوجه الصحيح مما ترتب عليه نقصان اعداد الماشية من ضان وأبقار وخنازير.

وكذلك فان تموينات السلع الاستهلاكية الصناعية تواجه تهديداً دائماً (فكلما زاد الانفاق على الانتاج الحربى نقصت سلع الاستهلاك العام فى المحلات)، ولم يحدث فى تاريخ الاتحاد السوفييتى مطلقاً ان تمكن الانتاج من الوفاء باحتياجات السكان. وحتى السلع الضرورية فقد واجهت كثيراً نقصاً ملحوظاً يمكن الاستدلال عليه من خطاب أرسلته احدى العاملات الى جريدة البرافدا قالت فيه:

مررت اليوم بالمحلات من جديد بحثاً عن منشفة للحمام . . . لا يوجد شيء ولم يوجد شيء منذ سنوات . أما الآن فحتى منشفات المطبخ لا توجد، فقد نفذت هذه من السوق بسبب انعدام منشفات الحمام. ومن الصعب تصديق ان الأمر يحتاج الى ذلك الوقت الطويل لايجاد حل لمشكلة المنشفات . فهل لك ان تتفضل بأن تجرى بحثاً وحديثاً مع الأشخاص المسئولين وان تتقصى السبب.

ا. الكسسييفا ــ موسكو[1]

---

(١) البرافدا فى ١٩ أغسطس (آب) ١٩٧٠.

وقامت الجريدة باستقصاء الأمر وتبين لها ان جملة إنتاج منشفات الحمام لا يبلغ حتى نصف إحتياجات الجمهور.

كتبت البرافدا فى مستهل العام الدراسى تقول ان مدينة كراسنودار تعانى نقصاً شديداً فى الكراسات وأدوات الكتابة المختلفة وأدوات الرسم وغيرها من الأدوات المدرسية الضرورية. فقد طلب ١ ٨٦٠ ٠٠٠ قلم رصاص للعام الدراسى ١٩٧١/٧٠ لمنطقة كراسنودار ولم يخصص لها سوى ٢٨٥ ٠٠٠ فقط. وحتى هذه الكمية لم تورد كاملة. ولم يورد كذلك من ورق الرسم سوى ٢,٦٪ من الكمية المطلوبة، "وكل هذا حدث فى مستهل العام الدراسى"(٢).

وبعد خمسة أيام عثرت البرافدا على جواب لقضية نقص أقلام الرصاص. فلم يكن هناك كمية كافية من خشب الأرز، وهو الخشب الذى تصنع منه الأقلام، بالاضافة الى ان الجهة الوحيدة التى تنتج الاقلام الرصاص فى البلدة هى عبارة عن ورشة تابعة لاحد المصانع فى تومسك "تتكدس آلاتها فى مبنى قديم متداعى يشبه الأكواخ"(٣).

وكذلك يوجد نقص شديد فى أنواع مختلفة ضرورية من الأدوات المنزلية الأساسية كأدوات المطبخ مثلا. فعلى مدى السنوات الثلاث الماضية أختفت هذه الأصناف من المتاجر فى أوكرانيا ولم توجد طاسات المطبخ المصنوعة من الصلب وكان هناك نقص فى أدوات المائدة المصنوعة من الألومنيوم. أما الأكواب الورق فان نوعها ردىء حتى ان المرء يلزمه ان يضع ثلاثة منها داخل بعضها حتى يمكنها ان تحتفظ بالقهوة أو الماء بداخلها"(٤).

وذكرت صحيفة "سوفيتسكايا روسيا" ان "قائمة الأدوات المنزلية والبضائع الضرورية لتحسين مستوى المعيشة التى يوجد بها نقص، والمقدمة من لجنة التخطيط فى مقاطعة اورلوفسكايا تضمنت ١٤٦ صنفاً"(٥).

ويرجع السبب فى نقص البضائع من المحلات السوفييتية أساساً الى عدم كفاية الانتاج. وهو خطأ أجهزة التخطيط التى تعمل حسب تعليمات الحزب الشيوعى السوفييتى ولجنته المركزية.

ويسوء حال منتجات الألبان لأن "مزارع الألبان لا تتوفر لديها الوسائل والأجهزة الكافية لعمليات البسترة والمخض والتبريد والتعقيم"(٦).

---

(٢) المرجع السابق فى ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٧٠.
(٣) المرجع السابق فى ٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠.
(٥) سوفيتسكايا روسيا فى ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠.
(٦) سلسكايا جيزن فى ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠.

وتعانى صناعة الغزل والنسيج أزمة مزمنة تجعلها تعجز عن تلبية المطلوب منها للأسواق الداخلية فى الاتحاد السوفييتى. ومثالا لذلك، اتفقت إحدى المؤسسات لصنع الملابس مع إدارة التوريد المركزية بموسكو على توريد بعض الأقمشة اللازمة لها. وبعد الاتفاق بفترة وجيزة أرسلت مؤسسة الملابس اخطاراً بأن مواعيد تسليم الأقمشة قد تغيرت. ثم تلاه خطاب آخر بانها سوف تورد أقمشة قطنية بدلا من الأقمشة الصناعية(٧).

هذا وغالباً ما تورد مصانع الأقمشة أصنافاً غير مطلوبة للبيع الى محلات الأقمشة لأنها أسهل وأقرب الى تحقيق أرقام الانتاج المطلوبة فى الخطة بغض النظر عن لزوم الصنف أو صلاحيته، ولأن الخطة تحدد أرقامها بالوزن الاجمالى للسلع المنتجة. ولهذا لا يلتفت كثيراً الى الأصناف ذات الوزن الخفيف حتى ولو كانت مطلوبة فى السوق.

ولنفس هذا السبب " زادت المصانع من إنتاج الأوعية المعدنية. ويحدث أحياناً ان توقف المصانع إنتاج بعض السلع لأنها خفيفة الوزن ولا تساعد على تحقيق أرقام الخطة بسهولة "(٨).

وبخلاف ذلك تحدث خسائر لا يستهان بقدرها أثناء نقل البضائع عن طريق السكك الحديدية. " فالسكك الحديدية لا تتحمل أى مسئولية عن وزن أو حالة البضاعة. وعندما تصل الشحنة الى جهة التسليم ناقصة الوزن أو بها تلف، فليس على موظفى السكك الحديدية سوى ان يحرروا محضراً يثبتون فيه النقص أو التلف وبذلك يخلون أنفسهم من أى مسئولية "(٩). وهذا مع ملاحظة ان السكك الحديدية السوفييتية ليس لديها عربات ثلاجات لحفظ السلع السريعة التلف كالخضروات والفواكه واللحوم وغيرها.

وغالباً ما يتجاهل المنتجون نوعية الانتاج تحت الحاح اسراعهم فى تنفيذ الخطة، مما ينتج عنه إمتلاء المخازن والمحلات بالبضائع الرديئة التى تباع للجمهور الحسن النية. وفى ذلك تقول مجلة " سوفيتسكايا تورجوفليا " مثلا ان " عدداً هائلا من العملاء قد اشتكوا من الثلاجات المعيوبة التى تنتجها مصانع باكو"، وان " عدداً كبيراً من المصانع فى جميع أنحاء البلاد تلقى شكاوى من الغسالات والمكنسات الكهربائية لأنها لا تعمل بطريقة مرضية(١٠). وحتى بعض الأدوات المنزلية البسيطة مثل مقشرات البطاطس ومرقاقات

---

(٧) المرجع السابق فى ٢٧ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠.
(٨) المرجع السابق فى ١٠ مارس (آذار) ١٩٧٠.
(٩) المرجع السابق فى ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠.
(١٠) سوفيتسكايا تورجوفليا فى ٢٩ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠.

الفطائر، فانهـا كذلك لا تخلو من العيوب التى تجعلها مرفوضة من العملاء. ونشرت "سوفيتسكـايا تورجوفليا" خطاباً من احد القراء يشكو فيه من ان "الراديو الجديد الذى اشتراه حديثاً قد تعطل بعد أيام معدودة من شرائه وعندما ذهب به الى ورشة الاصلاحات أخبر بانهم لا يمكنهم اصلاحه لأن قطع الغيار اللازمة غير موجودة "(١١).

وتتعمد بعض المصانع التحايل على شروط الضمان اللازمة للأجهزة التى تنتجها بأن تجعل الختم الذى يثبت تاريخ الانتاج غير واضح بطريقة تجعل من المستحيل تمييز أرقامه.

هذا وتفيض الصحف السوفييتية بالتقارير والشكـاوى عن سوء التخطيط وسوء الادارة والخدمة التى يلقاها العملاء فى الفنادق والمطاعم واستراحات الطرق فى مناطق الريف. وتتحدث تلك الشكـاوى عن "ارتفاع أسعار الأطعمة والمشروبات التى تقدم فى هذه المحلات برغم أنها رديئة الصنف وغير متنوعة. وكثيراً ما لا يجد العملاء وزوار هذه المحلات طلباتهم الضرورية بسبب عدم توفر الامكـانيات اللازمة. والمرطبـات والمثلجات لا توجد الا نادراً بسبب عدم توفر الثلاجات لحفظها. واذا وجدت تكون أسعارها مرتفعة جداً بسبب التكـاليف الباهظة لاحضارها من المدن البعيدة، فى حين ان انتاجها محلياً سوف يتكـلف أقل بكثير من مصاريف نقلها لو توفر التخطيط السليم "(١٢).

ومن أسباب تلك الطوابير الطويلـة التى تصطف فى المحلات وعلى أبوابها فى الاتحاد السوفييتى، البطىء الشديد الذى يسير عليه العمل فى محلات "أخدم نفسك" بسبب افتقار هذه المحلات الى التجهيزات المطلوبة لانجاز العمل بطريقة أسرع وأفضل. وفى ذلك يقول وزير التجارة الداخلية فى جمهورية روسيا الاشتراكية الفدرالية، د. بافلوف ان "الآلات الحاسبة المناسبة لم يبدأ إنتاجها بعد، وهناك نقص فى معدات التبريد اللازمة لمتاجر 'اخـدم نفسك'، كمـا ان المحلات الموجودة حالياً لا يتلائم تصميمها الداخلى مع التصميم الذى يجب ان تكون عليـه متاجر 'اخـدم نفسك'"(١٣).

ان البيروقراطيـــة السوفييتيـــة واحتكار الدولـــة لجميع وسائل الانتـــاج ومؤسسات التجارة الداخلية والخارجية وحتى تجارة التجزئة سبب رئيسى آخر من أسباب سوء حال تجارة التجزئة وخدمة العملاء. فالبيروقراطية والاحتكـار الحكومى يقتلان روح المنافسة والرغبة فى اجتذاب العملاء وكسبهم.

---

(١١) المرجع السابق فى ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠.
(١٢) المرجع السابق فى أول أغسطس (آب) ١٩٧٠.
(١٣) ايكونوميشيسكـايا غازيتا، العدد ٢٤، يونيو (حزيران) ١٩٧٠.

علقت جريدة " سوفيتسكـايا تورجوفليا " على المؤتمر الذى عقده اتحاد نقابات العمال للموظفين فى هذا القطاع الاقتصادى فقالت :

ان تخبئة السلع النادرة وبيعها فى السر بأسعار باهظة أمر مخجل. ان حالات الضياع والخسارة والائتلاف لا يزال علاجها يسير ببطىء شديد. وفقدان البضائع لا يزال يحدث بكميات غير قليلـة. ومن الخطىء الظن بان الجمهور عاجز على إكتشاف هذه الأمور(١٤).

هذا ولا يرجع سوء حال التجارة الداخلية فى الاتحاد السوفييتى الى المركزية المتشددة فى التخطيط الاقتصادى وحسب، بل هناك سبب آخر لا يقل أهمية عنه وهو الموقف العدائى الذى يتخذه قادة الحزب تجاه مهنة التجارة عموماً باعتبارها مهنة تتصل اتصالا وثيقـاً بالرأسماليـة والعقليـة البرجوازيـة، ومن ثم تصر على بقـاء أجهزة تجارة التجزئة حكراً حكومياً لا مجال للملـكيـة الشخصيـة فيه. وهذا يجعل نظام تجارة التجزئة وخدمة العملاء فى الاتحاد السوفييتى يفتقر الى عنصر أساسى من عناصر النجاح، وهو العلاقة الشخصية المباشرة بين العميل والتاجر وشعور كل منهما بحاجة الآخر لـــه. وما دامت تلك العقلية هى المتحكمة فى ذلك القطاع الاقتصادى الهام، فسوف يظل دائماً قطاعاً متخلفاً يسير سيراً أعرجاً ولا يستطيع الوفاء بالمطلوب منـه.

---

(١٤) سوفيتسكـايا تورجوفليا فى ٢٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠.

نظرة على أعداد مجلة "ايسكوستفو" الصادرة فى عام ١٩٧٠

بقلم: بيرم رضا

العدد الأول من مجلة " ايسكوستفو" أى " الفن " ، وهو عدد يناير (كانون الثانى) ١٩٧٠، جاءت مقالته الافتتاحية تسجيلا للحديث الذى ألقاه ن. بونوماريف السكرتير الأول لاتحاد الرسامين السوفييت فى الاجتماع المشترك لاتحادات الفنانين السوفييت الذى عقد فى موسكو فى ١٠–١١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٩. وكانت كلمته فى ذلك الاجتماع ليست إلا تأكيداً لتعاليم الحزب الأيديولوجية واقراراً لما يطالب الحزب به الفنانين.

ونشرت هذه المقالة الافتتاحية تحت العنوان " لتعلو راية الالتزام ". ووردت بالمقالة عبارات لا تدع مجالا للشك فى ان الحزب لا ينتظر من الفنانين مجرد الاعتراف الشفهى فقط، بل يطالبهم بنضال ضد التأثيرات البرجوازية الغربية التى لا يرضى عنها الحزب ولا يطيقها. فقد قال بونوماريف:

> ان المبدأ اللينينى عن شعبية الفن والتزامه يعنى ان عدم التصالح مع الأفكار البورجوازية هو الأساس للمقدرة الفكرية الخلاقة للفنانين السوفييت(١).

ثم استطرد بونوماريف يشكو من ان الفنانين السوفييت كثيراً ما يستخدمون العناصر الشعبية فى فنهم بطريقة ميكانيكية خالية من أى علاقة صادقة بمضمونها الحقيقى. ثم يقرر بأنهم "يعارضون روح المخطط اللينينى من أجل دعاية شامخة، ولا يتوائمون مع المثل السوفييتية العليا، ولا يعكسون مشاعر وأفكار الانسان السوفييتى".

ثم تحدث بونوماريف بعد ذلك عن ان اتحاد الرسامين السوفييت قد تداول فى أمر رداءة الأعمال الفنية المنقولة (ريبرودوكسيون) ثم اتخذ قراره بأن " أعضاء المجالس الفنية هم

---

(١) "ايسكوستفو"، ١٩٧٠، العدد ١، ص ٢.

المسؤولون عن مستوى هذه الأعمال المنقولة ". ثم عاد الى الحديث عن الفنانين او من يدعون بالفنانين، كما يقول هو، الذين يريدون التودد والتقرب الى البرجوازية الغربية فقال: "إن مسلك هؤلاء الأشخاص قد أدانه اتحاد الرسامين السوفييت ادانة قاطعة(٢)، وهنا ينبغى الاشارة الى ذلك الفنان (يقصد الرسام السوفييتى بيليوتين) الذى أرسل لوحاً بطرق سرية الى باريس حيث أقام معرضاً صغيراً لأعماله. هذه اللوحات بالتأكيد لم تحافظ على منهج الواقعية الاشتراكية. وزيادة على ذلك فان الحقيقة فى أنه قد بعث بأعماله الى خارج البلاد بدون الحصول على موافقة اتحاد الرسامين، قد أثارت غضب الجهات الرسمية السوفييتية ".

ويجدر هنا ملاحظة ان بونوماريف قد أمسك عن ذكر اسم بيليوتين فى المقالة المنشورة فى ايسكوستفو، مع أنه قد ذكره (وهذه معلومات استقيناها من مصادر عليمة) فى خطابه فى الاجتماع المشترك لاتحادات الفنانين السوفييت، وأكد فى ذلك الخطاب ان بيليوتين ليس عضواً فى اتحاد الرسامين السوفييت. (أنظر مجلة " الثقافة السوفييتية "، الأعداد ١١، ١٢ لعام ١٩٦٩، ص ٣).

وفى هذا العدد الأول نشرت مقالة أخرى طويلة بقلم ب. ميسنتسيف تناولت ما تحقق من أعمال مخططة لمناسبة العيد المئوى لمولد لينين. وكان أمراً طبيعياً ان يهتم بالحديث عن نصيب لينين الذى أبدعه المثال السوفييتى ب. بوندارينكة، وأقيم فى مدينة اوليانوفسك. وهى مدينة حديثة الانشاء يبدو تخطيطها وتصميمها متوغلا بعمق فى النمط الغربى.

وهناك مقالة طويلة أخرى فى هذا العدد بقلم أ. كوخيرت بعنوان " ضد الأيديولوجية الامبريالية الرجعية والاتجاهات التخريبية فى الجماليات والفنون التشكيلية ". وتحدث فيها كاتبها الى جميع الأشخاص الذين يريدون، أو يجب عليهم ان يسيروا فى طريق تطور الفن. وقال كوخرت " أنه شىء لا يغتفر ان يكون للمرء تأثرات واضحة بأ فكار الأيديولوجية البرجوازية الامبريالية وهو يعرف عن أساليبها فى حربها ضد الحركة الشيوعية فى العالم بأسره، ويعلم باعتداءاتها على البلدان الاشتراكية "(٣). ثم يعلن مؤكداً ان " الفن لا يمكن ولا ينبغى ان يكون محايداً، فهو سلاح سياسى تستخدمه الأيديولوجيتان فى الصراع بينهما. وهنا كما فى الميادين الأخرى، يجب على طرفى النزاع ان يجيب أحدهما على السؤال. من المنتصر ومن الخاسر؟"(٤).

---

(٢) المرجع السابق، ص ٣.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٩.
(٤) نفس المرجع السابق.

ويواصل كوخيرت حديثه قائلا ان الأعوام الخمسة عشر الماضية قد برهنت على ان " الاشتراكية لا تغلب فى صراع مكشوف "(٥). ثم يستخلص هو من ذلك كله ان كل من طرفى النزاع " يحاول ان يقهر الطرف الآخر ويستولى على حصونة ".

ومن أهم ما كتبه كوخيرت فى مقالته هذه تعريفة للأيديولوجية السوفييتية بعبارة " التغييرية "(٦) وأخذ يؤكد ان " النظريات التغييرية تحتل أهمية قصوى وتلعب دوراً حاسماً فى الصراع الأيديولوجى الذى تدور رحاه فى الميدان الذى نحن بصدده الآن(٧). وفوق ذلك تتعرض 'الواقعية' بنوع خاص الى الهجوم. فى الأعوام الأخيرة حاولت البرجوازية ان تجعل من كلمة 'الواقعية' من كلمات السباب ".

وبعد أن يخوض فى بعض التفسيرات والشروح الأيديولوجية ينتقل الى الحديث عما يؤرق المسؤولين الأيديولوجيين السوفييت ويسبب لهم قلقاً شديداً. والمقصود هنا كتاب " واقعية بلا شواطىء " الذى وضعه ر. جارودى، المفكر الذى طرد من الحزب الشيوعى الفرنسى بناء على طلب موسكو لأنه ندد بتدخل الاتحاد السوفييتى المسلح فى تشيكوسلوفاكيا. وكان أشد ما يثير مخاوف كوخيرت فى هذا الشأن ان جارودى " يسعى الى توسيع أو تمطيط الواقعية ". ثم يقول " ان جارودى يقرر ان المحافظة على الوضع الطبقى للفن مسألة تتوقف على العقائدية مباشرة وانها تعنى بالتالى الجدب ثم تؤدى فى النهاية الى موت الفن ". أما ما يثير حنق كوخيرت ورفاقه الأيديولوجيين السوفييت وغضبهم على جارودى فهو ما عبر عنه كوخيرت بقوله " فعند جارودى لا توجد الا حقيقة واحدة سيئة، الا وهى العداء للانسانية "(٨).

ثم إنتقل كوخيرت الى الحديث عن المؤلف الموسيقى النمساوى أرنست فيشر، الذى طرد كذلك من الحزب الشيوعى النمساوى بناء على طلب موسكو. ويأخذ الأيديولوجيون السوفييت على فيشر انه يرى ان الفنان " وجدان الأمة " الذى يجب ان يحافظ على إستقلاله، فى دولة إشتراكية أيضاً، لكى يكون فى إمكانية نقد الأوضاع السيئة. وهذا ما لا يعجبهم فى فيشر.

---

(٥) نفس المرجع السابق.

(٦) وردت فى الأصل بكلمة "ريفزيونيزم" وهى السعى لتغيير حالة أو برنامج قائم، وبينما تكتب فى بعض الترجمات بكلمة "الرجعية" فقد آثرنا هنا تسميتها "التغييرية" تمييزاً لها عن كلمة "الرجعية" التى هى فى الواقع ترجمة كلمة "رأكسيونيزم".

(٧) "ايسكوستفو"، ١٩٧٠ العدد ١، ص ٣٩.

(٨) المرجع السابق، ص ٤٢.

وتختم كوخيرت مقالته بالقاء وابل من النقد على " نظرية التقارب " التى رأى فيها انها " السلاح الرئيسى فى الترسانة الأيديولوجية الامبريالية "(٩).

* * *

وفى العدد الثانى من مجلة " ايسكوستفو" نشر الجزء الثانى من تلك المقالة الطويلة لكوخيرت. وفى هذا الجزء اهتم كوخيرت بموضوع " التجريدية " فى الفن. واستشهد ببعض الآراء لارنولد جيلين وصف فيها " التجريدية " بأنها مرحلة عابرة تنتهى فى آخر المطاف الى " الشمولية " (بلوراليزم). وفى هذا يكشف المؤلف عن تقارب مع وجهة نظر جارودى الذى ينتقده بشدة هو ورفاقه الأيديولجيون السوفييت.

ومما لا يخفى عن الملاحظة أيضاً محاولة كوخيرت ان ينفى التشابه فى المزاج والطابع الذى لا شك فى وجوده بين المفهوم الاشتراكى القومى للفن. ويبذل جهداً كبيراً لتحديد المفهوم الشيوعى للفن والآخر الاشتراكى القومى. ثم إقتطف بعض أقوال فيرنر عضو " اللاند تاج" (برلمان مقاطعة) فى مقاطعة هسن بألمانيا الاتحادية، عبر فيها فيشر عن مشاعره بعد زيارته لمعرض " دوكومينتا ". وعلق كوخيرت على أقوال فيرنر فيشر بأن " الفن ضرورة لرسالة الانسانية والمثل البطولية . . . الخ" وبعد ان وصف آراء فيشر بأنها " طنطنة عقائدية "(١٠) استطرد فى تعليقه عليها بقوله " ان قوى الفاشية الجديدة تحاول بكل الوسائل التى يتيحها الفن ان تعبىء جميع العناصر الساخطة ضد الفن الجديد المعادى للبرجوازية. وهنا تنكشف الأقنعة عن الأوجه الشديدة الرجعية فى تطور الفن فى جمهورية ألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول الامبريالية "(١١).

ومن الواضح ان تعبيرات " رسالة الانسانية " "والمثل البطولية" وغيرها من التعبيرات الكثيرة التى يزخر بها قاموس الشيوعية السوفييتية، لا تزيد عن ان تكون كلمات جوفاء لا تنطوى على أكثر من رنينها فى الهواء، تماماً مثلما كان الحال فى عهد النازية الهتلرية فى ألمانيا. ومحاولة كوخيرت أو اصراره على ان يحدد المفهوم الشيوعى للفن من ذلك الفاشى ليس له تفسير إلا أنه تأكيد على ان هذه الحقيقة تسبب للأيديولوجيين السوفييت قلقاً شديداً.

* * *

وفى العدد الثالث من " ايسكوستفو" عدة مقالات تتعلق جميعها من جهة أو أخرى بحياة لينين وأعماله. ومنها مقالة بقلم ن. نرسيسوف عنوانها " الفنان المعاصر ب. يوجانسوف ".

---

(٩) نفس المرجع السابق.
(١٠) العدد ٢، ص ٣٨.
(١١) نفس المرجع السابق.

ومن عنوانها يتبين انها خصصت للحديث عن المصور السوفييتى ب. يوجانسون. والمقالة موضحة بعدد من صور اللوحات رسمها يوجانسون، وجميعها لوحات تمجد فى المعالم السوفييتية، مثل لوحات "المحكمة السوفييتية" (١٩٢٨)، "لينين فى المؤتمر الثالث للكوموسول" (١٩٥٠)، "عيد النصر" (١٩٤٧)، وهذه لوحات أخرى أكثر تشدقاً بقيم الحياة السوفييتية مثل "تحويلة السكة الحديد" (١٩١٩)، "استجواب الشيوعيين" (١٩٣٣) ولوحات أخرى غيرها تستمطر اللعنة على كل ما هو غير شيوعى. وفى جميع هذه الأعمال التزم يوجانسون بمنهج الواقعية الاشتراكية إلتزاماً صارماً، وتميزت — كما يقول ف. تروفيموف — "باقتناع سليم وحقيقى بالالتزام"(١٢).

* * *

اما العدد الرابع من "ايسكوستفو" فقد خصص بكامله للتحدث عن لينين. إذ ان أبريل (نيسان) هو شهر مولده، ويستهل العدد بمجموعة من المصورات (بورتريهات) للينين لمصورين سوفييت مختلفين. وفى الصفحة الثانية نشرت بعض الأقوال المأثورة عن لينين، أختيرت بحيث تخدم جميعها غرض واحد، وهو ابراز فكرة "التزام الفن". ومن أمثلة هذه الأقوال "عدم الالتزام فكرة برجوازية" "والالتزام فكرة اشتراكية"... الخ(١٣).

أما المقالة الافتتاحية للعدد التى عنوانها "اللينينية هى القاعدة الأيديولجية للفن السوفييتى" فلم تكن سوى مسح شامل لأعمال الفنانين التشكيليين السوفييت التى تصور الثورة وما حققته من أعمال كثمرة لكفاح لينين. ومما يلفت الأنظار هنا ان اسم ستالين قد ورد ذكره ضمن من عملوا مع لينين شخصياً أو واصلوا عمله من بعده فى مكانه الحقيقى كساعده الأيمن فى حياته وكخليفته من بعده. فقد وردت تلك الأسماء بالترتيب التالى ف. جرشيسنكى، م. كالينين، ن. كروبسكايا، أ. لوناتشارسكى، ى. شفيردلوف، ى. ستالين، م. أوليانوفا، م. فرونزه... الخ(١٤). وهنا نرى محاولة صغيرة من المحاولات السوفييتية للتعدى على الحقائق التاريخية، فمن الواضح أنهم ما قصدوا من ترتيب هذه الأسماء ترتيباً أبجدياً الا لأن ستالين الذى يبدأ بحرف السين يأتى متأخراً فى القائمة. وهذا ما يحدث فى الاتحاد السوفييتى ببساطة عند كتابة التاريخ.

---

(١٢) العدد ٣، ص ٢٦.
(١٣) العدد ٤، ص ٢.
(١٤) المرجع السابق، ص ٨.

وفى موضع آخر من المقالة ذكر ان " الشعب الثورى الذى حقق النصر لثورة اكتوبر أراد ان يرى الفن يصور قائده لينين الذى لم يرغب مطلقاً فى ان يقف أمام فنان ليصوره، لا لأن وقته لم يتسع لذلك فقط، ولكن لأنه لم يكن يجب ان يظهر شخصه، وكان الشعب يرغمه على ذلك "(١٥). وهنا يكون التشكك فى غير موضعه، فها هو لينين الذى برع فى فن الدعاية وكان يعطى أهمية كبيرة للتأثير الظاهرى للأشياء، يصورونه اليوم على أنه كان شخصاً متواضعاً تماماً لا يحب الظهور ولا المظهر، وهذا ما لا محل له من الحقيقة.

وفى نفس العدد موضوع اخر بقلم ى. ماسييف بعنوان " المبدأ اللينينى عن التزام الفن وحرية الابتكار الفنى". وكان هدف الكاتب منه إعلان الحرب على مبدأ حياد الفن. فالكاتب يستشهد بقول لينين " ليس من الممكن ان يعيش إنسان فى مجتمع وينفصل عنه "(١٦)، ويستخرج منه رأيه فى الالتزام ويقول فى ذلك ان " الحرية بدون مسؤولية كل عضو فى المجتمع عنه (المجتمع)، أمر لا يمكن تصوره . . . "(١٧). ثم يستطرد ماسييف " وعلى هذا تتوقف الوحده بين الالتزام الشيوعى والحرية ".

ان أبواق الأيديولوجيين السوفييتية الرسمية من الكتاب السوفييت ليسوا على استعداد لأن يعترفوا بأن عدداً كبيراً من الفنانين السوفييت لا يؤمنون بأن يقدموا نبوغهم قرباناً على مذبح الاعتقاد فى تلك المسؤولية المزعومة عن المجتمع الذى يعيشون فيه. ومثل هؤلاء الفنانين تنزل عليهم لعنة الحزب فتجعل بينهم وبينه هوة سحيقة لا يمكن إجتيازها. وهناك سبب أخر يعمل على تعميق تلك الهوة وتوسيعها، وهو سلوك أيديولوجى الحزب الذين يدعون بأنهم وحدهم الصائبون.

ويدلل الكاتب على آرائه بالاستشهاد بأقوال بعض الشخصيات المعروفة ذات الوزن مثل غوركى فى قوله " ان الفن فى أساسه كفاح مع أو ضد شىء ما "(١٨).

ثم يخرج من هذا بالنتيجة التالية " هذه الأقوال كلها توضح ان الحرب الباردة تدور رحاها فى ميدان الأيديولوجية بكل طاقاتها، وأنها تزداد حدة، وأنه لا مجال للتعايش فى هذا الميدان ". ثم يحول الكاتب هجومه ويلقى التبعة على " الامبرياليين" وفنونهم قائلا أنهم " يعملون ضد مبدأ التزام الفن البروليتارى والاشتراكى ويحاربونه، ويخفون

---

(١٥) المرجع السابق، ص ١٣.
(١٦) المرجع السابق، ص ٤٦.
(١٧) نفس المرجع السابق.
(١٨) المرجع السابق، ص ٤٧.

أيديولوجيتهم الامبريالية التى تجعل منهم ملتزماً الى أعلى درجة بخدمة مصالحهم الرأسمالية "(١٩). ويستشهد فى ذلك برأى الفنان الأمريكى روكويل كنت الذى قال ان " الفن فى أمريكا لا ينتمى للشعب ولا يحمل طابع الانسانية "(٢٠). وكذلك يستشهد بالفنان أ. رانهارت كدليل آخر على ذلك وهو الذى عبر عن رأيه فى ان فن " الامبرياليين" لا يمت للانسانية بأية صلة وينقل عنه قوله ان " الفن دائماً لا أنفاس له، لا حياة فيه، لا مضمون له، لا شكل له ولا اتساع ولا زمان. وهذا هو هدف الفن النهائى "(٢١).

وبعد ذلك ينتقل ما سييف الى موضوع " الاستقلال الذاتى" محاول تفنيد الآراء التى تنادى به ويرد على الأصوات التى تنادى بأن الفن تزداد مكاسبه كلما ابتعد بنفسه عن ميدان الصراع الطبقى، وان تاريخ الفن يؤكد على أنه " صراع متذوقى الفن ". ثم يخرج من محاولته هذه باستنتاجات يربط بينها وبين أحداث تشيكوسلوفاكيا — أى التدخل السوفييتى المسلح فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ — ويعلن انه "كان هناك صراع طبقى حقيقى يدور حول الأخذ بأفكار التغييرية (الريفيزيونيزم) فى تطور تشيكوسلوفاكيا فى ميادين الفن والأدب. ان فلسفة الحياة الماركسية لم يندر ان صورها البعض على أنها أسوأ إستبداد بالفن "(٢٢).

ولم يفت ماسييف كذلك ان يتناول أقوال أرنست فيشر الشيوعى النمساوى السابق بالتفنيد والرد وخصوصاً فيما يتعلق بموضوع التزام الفن. فى رأيه ان المسألة مسألة سياسية خالصة ويرفض الرأى بأنها مسألة جمالية، ثم يقول ان " الواقعية الاشتراكية تتيح تنوعاً فى الفكر أكثر مما تتيحه المناهج الأخرى فى الفن "(٢٣).

وبعد ذلك أطال فى الحديث عن أن الواقعية الاشتراكية قد طورت عدة إتجاهات جمالية صحيحة واضحة مثل " الرومانسية الثورية " و " التفاؤلية الاشتراكية " و " تمجيد الانسان العامل، البطل الحقيقى فى الدنيا " . . . الخ(٢٤).

ويتحدث عن حرية الفنان، فيؤكد ان " حرية الفنان لا يجب ان تقتصر على حرية التعبير الفنى أو اختيار وسيلة التعبير فقط، بل يجب ان تمتد بالقدر نفسه الى نظرته الى

---

(١٩) المرجع السابق، ص ٤٨.
(٢٠) نفس المرجع السابق.
(٢١) المرجع السابق ص ٤٩.
(٢٢) نفس المرجع السابق.
(٢٣) المرجع السابق، ص ٥١.
(٢٤) نفس المرجع السابق.

الحياة والى المجتمع الذى يعيش فيه وموقفه منه والشعور بالمسؤولية نحوه ونحو مثله الجمالية"(٢٥). ثم يختم كلامه بتقديم هذا التعريف :

ان الفنانين السوفييت يفهمون ان إنتاجهم جزء لا يتجزأ من عمل الحزب العام وشؤون البروليتاريا. وعلى هذا تتوقف الحرية الحقيقية للفن(٢٦).

* * *

خصص العدد الخامس من مجلة " ايسكوستفو" لذكرى إنتصار الجيوش السوفييتية فى الحرب العالمية الثانية. فمنذ خمسة وعشرين عاماً أى فى ٢٥ مايو (أيار) ١٩٤٥ على وجه التحديد سقطت برلين فى يد الجيوش السوفييتية وبذلك تحقق لها النصر على ألمانيا النازية. وفى هذا العدد نشر الكثير من الصور للوحات زيتية تمجد كلها فى الجنود السوفييت وبطولاتهم المدعاة أو الحقيقية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر لوحة " المتطوعون البيلوروسيون " (١٩٦٧)، للرسام م. دانزيج(٢٧)، ولوحة " النصر" (١٩٤٧) للرسام ب. كريفونوجوف(٢٨)، التى تصور تدمير " الرايخ ستاج" (برلمان النازى)، ثم هناك لوحات أخرى يمكن ذكرها مثل اللوحة الرومانتيكية الخالصة " الاستجمام بعد المعركة " (١٩٥١) للرسام ى. تيرينتسيف(٢٩)، ثم اللوحة الاعلانية " بدون شفقة سوف نحطم العدو ونقضى عليه " (١٩٤١) للرسام كوكرينسكى(٣٠)، ولوحة " أم متطوع" (١٩٤٣) للرسام جيراسيموف(٣١)، ولوحة " الدفاع عن سيبا ستبول " (١٩٤٢) للرسام أ. داينيكة(٣٢). وهذه هى اللوحات التى يمكن ذكرها من بين اللوحات الكثيرة التى تحمل كذلك أسماء مختلفة كلها لغرض الدعاية .

ونشر هذا العدد الكبير من صور اللوحات فى مجلة للفن، وبهذا التركيز الشديد، يكشف بوضوح عن مدى ارتباط هذه المجلة بأجهزة الدعاية فى الحزب ومدى بعدها عن ان تكون مجلة فن جديرة بهذا الاسم الجليل، "الفن". لقد خصصت المجلة أكثر من ثلاثين صفحة من عددها هذا من أجل هذا الموضوع. وحينما تعرف ان عدد صفحات

---

(٢٥) المرجع السابق، ص ٥٥.
(٢٦) نفس المرجع السابق.
(٢٧) العدد ٥، ص ٤.
(٢٨) المرجع السابق، ص ٦.
(٢٩) المرجع السابق، ص ٨.
(٣٠) المرجع السابق، ص ١٠.
(٣١) المرجع السابق، ص ١١.
(٣٢) المرجع السابق، ص ١٢.

المجلة كلها لا يتعدى نطاق الثمانين صفحة، تنجلى الرؤية عن القصد من هذا التمجيد للروح العسكرية والدعوة لها.

وفى نفس العدد كلمة بعنوان "الفن الأجنبى المعاصر" تناولت عدة موضوعات مختلفة تخوض كلها فى قضايا فنية خالصة. ثم كلمة أخرى فى باب "النقد والوراقة" بعنوان "القالب الاستاتيكى – أى الجمالى – فى تكوين الادراك الفنى" بقلم ف. ساموخين، اهتم فيها كاتبها بالنظريات الجمالية للعالم السيكلوجى الأمريكى رودلف ارنهايم. وقال عن ارنهايم أنه "باعتباره من مؤيدى استاتيكا سيكلوجية الشكل"، فهو يعمل ضد مؤيدى سيكلوجية السرور الذين حاولوا التدليل على "الطبيعة اللا واعية للفن"، من حيث أنهم يفترضون ان الغرائز اللا عقلية المختزنة فى الحس الباطن هى المنبهات الرئيسية للنشاط الفنى فى الانسان(٣٣). ويستمر ساموخين مهتماً بمسائل جمالية خالصة . . . دون ان يخلطها بمسائل أيديولوجية طوال النصف الأول من مقالة النقدى، ثم يعرض نظرية "الشكل" فى سيكلوجية الشكل من خلال نظرية "راسفيورتكا" (اى التشريح)، ويقول ان هذا الأمر "مطلوب من أجل الفحص الدقيق لأى عمل فنى"(٣٤). ثم يذكر ان ارنهايم "يربط بنجاح فى نظريته عن الشكل بين المناهج الجمالية والتجريبية فى علم النفس(٣٥).

ثم يتحدث عن الاستفادة من مثل هذه الاستكشافات السيكلوجية فى الاتحاد السوفييتى ويعلن أنه "باستثناء بعض أعمال للفنان ب. ف. لوموف، لم يحدث أى جديد فى هذا المجال.

وبعد ذلك تحدث ساموخين بالرأى القائل ان نظرية ارنهايم كذلك تتضمن بعض أخطاء ذات طابع فلسفى(٣٦)، فان نظريته "نظرية مادية مقلوبة على رأسها"، فان ارنهايم قد أهمل "العامل الاجتماعى فى الادراك الفنى"(٣٧). ثم اتهم ارنهايم بأنه "كأيديولوجى برجوازى يهتم بالانسان كفرد أكثر من إهتمامه به ككائن إجتماعى ، ولا يعير الأوضاع الاجتماعية الانسانية أية أهمية، فى رأى ارنهايم، ينبع التذوق الفنى من الادراك بواسطة

---

(٣٣) المرجع السابق، ص ٦٧.
(٣٤) المرجع السابق، ص ٦٨.
(٣٥) المرجع السابق، ص ٦٩.
(٣٦) نفس المرجع السابق.
(٣٧) نفس المرجع السابق.

عمليات بيولوجية". ثم يستنتج ساموخين من ذلك حكمة على ارنهايم يانه "يعوزه الفهم الحقيقى للطابع الطبقى للفن، وهى الميزة الهامة للمفهوم الماركسى للفن".

* * *

والعدد السادس من "ايسكوستفو" نشر فيه مقال بقلم ب. فايمادن بعنوان "الفن التيمورى"، وهو عبارة عن تعليق عن بحث علمى من تلك البحوث الدورية التى تنظمها وترعاها منظمة اليونيسكو، وقد أجراه عدد من الباحثين المتخصصين فى هذا الفرع من دول شتى ذهبوا الى سمرقند — عاصمة التيموريين — لهذا الغرض. وقد علق فيمارن على ذلك البحث يقوله أنه "هذا البحث الذى اشترك فيه باحثون متخصصون من الاتحاد السوفييتى وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وفرنسا وافغانستان وايران عمل ذو قيمة كبيرة". ثم استطرد معبراً عن رأيه فى المتخصصين الأجانب الذين اشتركوا فى البحث بقوله "ان الضيوف الأجانب كانوا يعرفون القليل عن تلك المخطوطات والنماذج الفنية والتحف وغيرها من المشغولات الفنية المحفوظة فى المتاحف السوفييتية، والاتحاد السوفييتى يتحمل مسؤولية ذلك بقدر معلوم لأنه يتراخى فى الاعلان عن هذه الأعمال(٣٨).

* * *

يبدأ العدد السابع بمقال إفتتاحى بعنوان "جوائز لينين فى عام العيد المئوى". وكانت جوائز لينين لعام ١٩٧٠ قد منحت لثلاثة أعمال جماعية كلها لنصب تذكارية أقيمت فى المدن والقرى السوفييتية لتخليد ذكرى ضحايا الفاشية. والنصب الأول إشترك فى عمله أربعة مثاليين هم ى. جرادوف و ف. زانكوفيتش و ل. ليفين و س. سيليخانوف وأقيم فى قرية "خانتينى" فى بيلوروسيا حيث كان النازيون الألمان قد أحرقوا قرية خانتينى الصغيرة عن آخرها بسكانها الذين كان عددهم ١٤٩ نسمة(٣٩). والعمل الثانى اشترك فيه عدد أكبر من الفنانين بلغ السبعة وهم ج. اسارين و ل. بوكوفسكى و أ. زاكامينى و ى. زارين و أ. اوستنبرج و أ. سكاراين و أ. ستراوتمان وأقيم فى سالاسبيلز قرب ريجا لتمجيد ذكرى ضحايا النازية من أهل هذه البلدة أيضاً. وهو عمل عصرى له تأثير عميق فى نفس المشاهد. أما النصيب الثالث فقد اشترك فيه ستة من المثالين هم ى. فوتشيتيتش و ى. بيلوبولسكى و ف. ديمين و ف. ماوتسون و أ. نوفيكوف و أ. تيورنكوف. وفى هذا النصب يرمز الى "الوطن" بهيئة امرأة تستعر ملامحها بنار الغضب وتشهر فى يدها سيفاً فى وضع النزال والكل من حولها يهبون معها للقتال(٤٠).

---

(٣٨) العدد ٦، ص ٤٦.
(٣٩) العدد ٧، ص ٢.
(٤٠) المرجع السابق، ص ٢٥.

ومن بين الموضوعات التى نشرت فى هذا العدد مقال كتبه المثال السوفييتى ب. فايمارن بعنوان " الفنانون السوفييت وأصدقاؤنا العرب " وتناول فى مقاله هذا الرحلة التى قام بها المثال الآذربيجانى سلام عبد القاصى اوغلو سلا مزادة الى الجمهورية العربية وسوريا ولبنان والعراق، وذكر أنه عاد من هذه الرحلة بعدة سكتشات ولوحات عرضت فى موسكو ولينينجراد تحت رعاية جمعية الصداقة والعلاقات الثقافية مع الشعوب الأجنبية. وأشار الى ان المعرض قد أحرز نجاحاً طيباً، الا أنه أشار الى ان الرسام سلامزادة كان قد رسم لوحة لسد أسوان وان هذه اللوحة لم تكن عملا فنياً خارقاً للعادة. ولكنه أثنى على لوحة "الخبراء السوفييت فى الفتحة" التى ترمز الى الصداقة العراقية السوفييتية، ويصفها بأنها عمل ناجح حقاً(٤١). ومما يثير التعجب انه حتى هذه اللوحة وكثيرات غيرها مطبوعة كذلك بالألوان لم تنشر على غلاف المجلة، وكانت اللوحة التى طبعت على الغلاف هى لوحة " سد أسوان " التى قال كاتب المقال عنها انها لا تصور الحجم الحقيقى للمشروع وعلى الأقصى إنطباعاً عن منطقة متوسطة من البناء.

وفى هذا العدد مقالة أخرى بقلم أ. شيتوميرسكى بعنوان " المزاح والكفاح من أجل الحرية " واحتوت المقالة على عدد كبير من الرسوم الكاريكاتير التى تسخر من النازيين الألمان والأمريكيين فى فيتنام ومن حلف الاطلنطى. . . الخ(٤٢).

وفى العدد الثامن نشرت مقالة بقلم أ. كوتسوف بعنوان " قصيدة العمل " وفيها يعلق الكاتب على حوالى الثلاثين من اللوحات التى إختارها لموضوعه من بين ثمانمائة لوحة عرضت فى معرض كل الاتحاد فى عام ١٩٧٠(٤٣). وهى لوح لا تعطى المشاهد أى انطباع شاعرى. ومن الواضح ان الشاعرية بعيدة كل البعد عن كل ما احتواه المعرض من لوحات. واللوحة الأولى من التى تناولها كوتسوف بالتعليق كانت للرسام م. بابورين وعنوانها " الانصراف بعد العمل " (١٩٦٩)، وهى تذكر الانسان بالشخصيات الاغريقية الاسطورية(٤٤). ولم يغب عن عين الناقد كوتسوف ان هذه اللوحة لم تصور أى شىء شاعرى عن دنيا العمل فى الاتحاد السوفييتى، إذ يقول بشىء من الحذر ان "الموضوعات التى عرضت فى

---

(٤١) المرجع السابق، ص ٣٢.
(٤٢) المرجع السابق، ص ٤٥.
(٤٣) العدد ٨، ص ١٤.
(٤٤) نفس المرجع السابق.

معرض كل الاتحاد فى الزمن الأخير لا تدعونا للحديث عن أى اكتشافات حقيقية وإيجابية فى هذا السبيل(٤٥).

وفى الحقيقة لا يجد المرء لوحة واحدة من اللوحات التى نشرت صورها فى ذلك العدد تمنح المشاهد احساساً شاعرياً. وعندما نعلم ان هذه اللوحات قد اختيرت من بين ثمانمائة لوحة إحتواها المعرض باعتبارها أحسنها، يكون سهلا ان نتصور حال الأخريات. فانها لوحات تصوير حياة العمل الجافة القاسية التى يحياها المواطنون السوفييت، وموادها هى الملابس الخشنة وأدوات العمل والآلات.

* * *

وفى العـــدد العـــاشر موضوع إفتتاحى بعنوان " القومية والدولية فى الفن " وجاءت فيه لمحات عن الاجتماع الذى عقد بين علماء الفنون فى موسكو ولييننجراد من جهة وزملائهم فى الجمهوريات القوقازية، آذربيجان وأرمينيا وجورجيا ، من جهة أخرى. واشترك فيه مائة من الخبراء المتخصصين. وكان الغرض من هذا اللقاء هو بحث و دراسة بعض المشاكل المعقدة فى ميدان الفن فى الاتحاد السوفييتى. فتحدث ى. سينجر (من موسكو) فى موضوع " عن الوحدة الدوليـــة فى الفن السوفييتى " وكان رأيه ان " الوحدة الفكرية الدولية لا تنمو كقوة مضادة للقومية، بل انها على العكس تنمو على أرض القومية ذاتها وأسسها الشعبية "(٤٦). ثم يتابع سينجر كلامه قائلا ان " مرحلة جديدة قد أتت حيث ستتحدد الخصائص الدولية للفن السوفييتى ".

ثم تحدث ى. مادتيكيان (من ايريفان) فى موضوع " الواقعية والدولية من التقاليد الراسخة للفن الأرمينى "، فأخذ يوضح ان " الفن فى أرمينيا فى الظرف الحاضر أصبح أكثر موضوعية وأكثر عمقاً فى الادراك " ثم يحاول ان يتشدق فى الكلام عن " الواقعية وفضلها على الفن الأرمينى المعاصر الذى تميز على الاتجاهات المحافظة والرجعية فى الفن الأرمينى فى الماضى "(٤٧).

وتلاه ن. حبيبوف (من باكو) فتحدث فى موضوع " القومية والدولية فى فن الرسم الآذربيجانى " وتناول فى حديثه " الطابع الاجتماعى والتقدمى للأدب والفن الطبقى الآذربيجانى "(٤٨). وعبر على رأيه كذلك بأن " الطابع الدولى لأى شىء ينبثق أساساً من المضمون المعبر عن حياة الأمة وظروفها الحقيقية ".

---

(٤٥) المرجع السابق، ص ١٥.
(٤٦) العدد ١٠، ص ١٠.
(٤٧) نفس المرجع السابق.
(٤٨) نفس المرجع السابق.

أما م. كاجان (من لينينجراد) فقد رفض التعريف الضيق للقومية " الذى يفسر القومية على أنها تلك المظاهر الخارجية مثل الزى والعادات والصفات البدنية ". ويرى ان مسائل علم النفس الاجتماعى لم تكن قبل اليوم موضع بحث ودراسة فى الاتحاد السوفييتى. ثم يقول فى هذا الخصوص ان " الطابع القومى فى الفن مع أنه معروف ومتيسر للجميع، فقد كان من الصعب دائماً وضع تعريف محدد له. أما الآن فقد أصبح ذلك ممكناً بفضل مساعدة علم النفس الاجتماعى "(٤٩).

وقال أ. ميخائيلوف (من موسكو) ان "كلمة قومى لا يجب ان تأخذ على انها شىء مطلق لأنها كلمة خاضعة للتأويل. وليس من المألوف ان تخضع جميع المقومات القومية للتطوير على أسس دوليـــة حقيقية "(٥٠). ثم يستشهد بتطور فن الرسم فى أرمينيا وجورجيا حيث " نشأ فن حديث يتمتع بصفات وخصائص إنسانية عامة من خلال استخدام التقاليد الفنية القديمة ". ويرى ميخائيلوف كذلك ان الفنان المعاصر تتحقق اصالته بحسب قدرته على الاستفادة من العناصر القومية الصادقة فى أعماله ".

ومن الممتع حقاً كلمة ف. ادوتونيان التى نشرت تحت هذا العنوان "كلما ازدادت الأمم الاشتراكية نمواً وقوة، كلما زاد إهتمامها بتقاليدها التاريخية "(٥١).

وكان من ضمن المتحدثين كذلك أ. اوروشاجة (من جورجيا) الذى تناول فى كلامه موضوع ضرورة تعريف كلمة " تقاليد قومية " تعريفاً واضحاً وتحديد مفهومها تحديداً قاطعاً. ثم انتقد بعض المعماريين الذين يتجاهلون العنصر القومى فى مشروعاتهم المعمارية(٥٢).

ونتيجة لذلك كله اتفقت كلمة المجتمعين على ان خصوم الاتحاد السوفييتى فى الأيديولوجية يسعون الى تشويه فكرتى " الوطنية " (باتريوتيزم) و" الدولية " (انترناسيوناليزم) واحلال فكرتى " القومية " (ناسيوناليزم) و" المسكونية أو الوطنية العالمية " (كوزموبوليتيزم) محلهما(٥٣).

* * *

وفى العدد الثانى عشر من " ايسكوستفو" نشر مقال بعنوان " مشاكل علوم الفن والنقد "، قيل فيها ان " علوم الفن السوفييتية قد دخلت الى ميدان الصراع الدولى،

---

(٤٩) نفس المرجع السابق.
(٥٠) نفس المرجع السابق.
(٥١) نفس المرجع السابق.
(٥٢) نفس المرجع السابق.
(٥٣) نفس المرجع السابق.

وان كلمة علماء الفن والنقاد السوفييت تنطق بالصدق وتعبر عن الحقيقة التاريخية للأفعال. لانها كلمة تخرج عن رغبة صادقة فى تحقيق تقدم الانسانية جمالياً، وهذا ما يميز علوم الفن السوفييتية عن الأخرى البرجوازية التى تسير فى ركاب المصالح الرأسمالية "(٥٤).

ثم يستطرد المقال فيشير بمرارة الى ان " حال نقاد الفن فى الجمهوريات (السوفييتية) لا ترضى. فالعلاقة بين الفنانين والنقاد الفنيين يسودها جو من التوتر. وهنا يلاحظ وجود التحزبات ومصالح التحزبات(٥٥). وفى مثل هذه الحالة لن يكون من باب الغرابة ان كل مجموعة تعمل ضد الأخرى".

ويحاول كاتبوا هذا المقال ان يقرنوا كلامهم بالمصطلح السوفييتى الرسمى " الفن للشعب " ثم يتساءلون " الا يعنى هذا ان الشعب بامكانه ان يستبدل هؤلاء الناس بغيرهم " . ان الانسان لتنتابه الحيرة أمام هذا المشهد، فكيف يمكن تحديد صلاحيات الشعب من صلاحيات علماء الفن والنقاد فى الحكم على الأعمال الفنية ؟ ان ما يمكن فهمه من الشعار العقائدى " الفن للشعب" هو ان الأيديولوجيين السوفييت قد وضعوه بهذه الصياغة إدعاءاً بأن الشعب البسيط قادر على تولى دور علماء الفن والنقاد المحترفين. ان هذه الصياغات العقائدية المغالى فيها التى تفترض مثل هذه الصلاحية للشعب — وهذا ما يفهم من كلمة الشعب ان يتولاها بهذه البساطة. ولو حدث مثل ذلك، فقد تنشأ حالة غاية فى الحرج، فالشعب والمثقفون سوف يقف كل منهما فى وجه الآخر. ان الدعوة بأن الشعب يتمتع بفطرة سليمة ومقدرة على التميز والحكم على الأشياء حكماً صادقاً، منهج دعائى له تأثير خطير فى تملق الشعب. ومبعث التناقض بين موقفى كل من الشعب والمثقفين هنا، هو ان كل شارد ووارد سوف يعطى لنفسه صلاحيات المثقفين باسم الشعب. ان هذا الهراء الأيديولوجى سيكون سبباً فى نشوء ذلك التناقض وظهوره بدرجة خطيرة. فالأمر لا يحتاج الى ذكاء كثير لكى يدرك المرء ان الحكم على الأعمال الفنية العلمية يحتاج الى معرفة خاصة متخصصة لا يستطيع الشعب بمثل هذه البساطة ان يحصل عليها ولكن ما يفكر فيه الأيديولوجيون السوفييت بافاضتهم فى التحدث عن دور الشعب لا يخفى على أحد. ان علماء الفن ونقاد الفن غالباً ما يتميزون بحاسة فنية مرهفة

---

(٥٤) العدد ١٢، ص ٢.
(٥٥) نفس المرجع السابق.

جداً، وبسبب ما يتوفر لهم من علم ومعرفة وتخصص فنى علمى يكتسبون ذوقاً جمالياً غير عادى، وهذا ما لا يمكن توافره لدى كتل الجماهير الواسعة. وفوق ذلك، فان بعض نقاد الفن غالباً ما ينظرون الى العمل الفنى من خلال وجهة نظر معينة، وهذا ما يصعب على تصور الأيديولوجيين السوفييت. فهم عندما تعجز قدراتهم عن مساندة حججهم بمنطق علمى، يبادرون باللجوء الى كلمة " الشعب" يتذرعون بها وبما تحمله من تفسيرات غير محددة لسند ادعاءاتهم. ان فلاح الكولخوز (المزرعة الجماعية) أو عابر السبيل لم ولن تكون له فى يوم من الأيام قدرات فنية.

ويتحدث كاتبوا المقال بعد ذلك بتشديد على "الحاجة الى تعليم وتثقيف أكبر عدد ممكن من المشتغلين بالفن وتهيئة ظروف العمل لهم " ويؤكدون ان ذلك " لازم للفنان لكى تكتسب أعماله عمقاً واصالة وصدقاً، كما أنه لازم بنفس القدر للناقد لكى تكون أحكامه على الأعمال الفنية أحكاماً موضوعية ". وهناك تشديد كذلك على أهمية دور النقاد نص عليه فى اللائحة الجديدة لاتحاد الرسامين السوفييت.

ثم يتحدث المقال بعد ذلك بصيغة فيها اللوم والتحذير قائلا ان " بعض الزملاء يتجنبون العمل فى وظائف النقاد العادية، وقد يكون هذا الأمر مقبولاً الى حد ما من الشيوخ أو من هم لا يزالون فى مقتبل العمر، ولكن ان يفعل ذلك زملاء من الرجال فهو الأمر الغريب تماماً. لقد ضعف الاقبال على هذه المهنة سواء فى الصحف المركزية أو صحف الجمهوريات بصورة خطيرة(٥٦). حقاً ان حال الناقد السوفييتى ليست مما يغبط عليه، فقد حلت به اللعنة وصار من المحتم عليه ان يسير على الصراط المستقيم بين تعاليم الحزب الأيديولوجية والحدود التى يقررها الفن. وذلك ما يفسح له مساحة ضيقة جداً ليتحرك فيها، مما يوعز إليه بأن يؤثر الانسحاب والاتجاه الى عمل آخر محمود. ان عمل الناقد فى الاتحاد السوفييتى قد يكون أكثر صعوبة من عمل الرسام أو الملحن أو الشاعر. . . الخ".

ثم يواصل المقال سرد أعباء الناقد فيقول " وليت الأمر يقف عند هذا الحد، فمن يدرى بعد ذلك ان كان هذا الفنان أو ذاك أو حتى الجمهور سوف يتقبل كلمة الناقد بنفس راضية. والمسألة قبل كل شىء هى هل ساعد الناقد بالفعل فى تقدم الثقافة

---

(٥٦) المرجع السابق، ص ٣.

الفنية الاشتراكية أى هل أنه من وجهة النظر الماركسية اللينينية وبوضوح وفى الوقت الصحيح قد رأى العمل الفنى وحكم فى شأنه(٥٧).

وهذه الفقرة الأخيرة تكشف بوضوح تام عن تلك المساحة الضيقة من الأرض التى يتحتم على الناقد السوفييتى ان يتجول فيها ولا يتخطى حدودها. وهذا ما يشرح — كما ذكر كاتبوا ذلك المقال — سبب إكتفاء كثيرين من النقاد السوفييت بالنظرة العابرة على ذلك المعرض أو تلك اللوحة لعمرو أو زيد من الفنانين، ويكتبون وصفاً غاية فى الدقة دون أى تحليل أو نقد حقيقى.

(٥٧) نفس المرجع السابق.

MAJALLAH

(Arabic Review)

No. 29, 1971

Editor: SÜLEYMAN MOHAMED TEKINER

CONTENTS

The Fiftieth Anniversaries of the Soviet Republics of Azerbaidzhan and Kazakstan 3
By SÜLEYMAN TEKINER

The Third Generation of Soviet Leaders 19
By ABDURAKHMAN AVTORKHANOV

Sino-Soviet Rivalry in Asia and Africa 36
By STEFAN C. STOLTE

Soviet Domestic Trade Mirrors Basic Defects of the Economic System 44
By ANDREI V. BABICH

A Review of the 1970 Issues of the Monthly Periodical *Iskustvo* (Art) 49
By BEIRAM RIZA

الآراء المنشورة فى المجلة هى آراء كتابها ولا يجوز إعتبارها بأى شكل كان عقيدة سياسية أو وجهة نظر المعهد

المواد المنشورة هنا يمكن إعادة طبعها أو إقتباسها بشرط الإشارة إلى مصدرها